

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

المبحث الأول : بناء القصائد والمقطعات

المبحث الثاني : المعجم الشعري الإسلامي

المبحث الثالث : الأساليب

المبحث الرابع : إقتباس الشعراء من

القرآن الكريم والحديث

النبوي الشريف

المبحث الخامس : الصورة الشعرية

المبحث السادس : الإيقاع

obeikandi.com

المبحث الأول بناء القصائد والمقطعات

عندما بزغ فجر الإسلام بنوره الجديد الذي أضاء به أركان الجزيرة العربية ، وتفتحت عليه عيون المؤمنين وتيقظت له بصائرهم وعقولهم^(١) ، فأبدلهم خلقاً آخر قوامه العقيدة الإسلامية التي جاء بها هذا الدين العظيم ، فاصبح همهم تلبية نداء الجهاد الذي وجدوا فيه نيل مناهم وغايتهم ، ووجدوا فيه لذة الشهادة التي كثرت استعذبتهم بطعمها . وهذا النور الذي أضاء الجزيرة العربية ، لم تكن عيون شعراء المسلمين وعقولهم بعيدة عنه ، بل استضاءت وتورت به ، خاصة إذا علمنا أن هؤلاء الشعراء هم أول من كان يتقدم صفوف المجاهدين ، وأمد أثر الإسلام الى نتائجهم الأدبي وخاصة فيما ينظمونه من أشعار كثيرة ، فحذف أغراضاً لا تتفق ومبادئ الدين ، واستحدث أغراضاً جديدة ، فأبعدهم الإسلام عن الغزل المتهتك والخمرات والهجاء المقذع الفاحش^(٢) ، وأبدل مضامين الأغراض القديمة مضامين جديدة ، فقد (تحول المديح من مظهر الأبهة إلى مظهر الإشادة بالرسالة وتعظيم فضل من حملها . وانطلق الفخر من حدوده الفردية إلى التغني بالإسلام والإعتراف بشرف الإنتساب إلى الجماعة المسلمة)^(٣) ، وأصبحت غاية الرثاء تمجيد الشهداء والإشادة بفعالهم ومواقفهم وتعداد مآثرهم ، وإن كان يتفق مع الرثاء الجاهلي فيما يشيع فيه من الحزن والأسى على الفقيد ، إلا أنه يختلف عنه فيما يديه المسلم من روح التسليم بقضاء الله تعالى وقدره ، والإمتثال لإرادته تعالى والإستبشار بما أعده الله تعالى للشهداء من اجر عظيم^(٤) .

واستحدث موضوعات (جديدة تتصل اتصالاً وثيقاً بالدعوة الإسلامية وما رافقها من أحداث في جزيرتهم وعلى أرضهم ، أو بعيداً عنها في بلاد فارس والروم التي اندفعوا نحوها حاملين مصابيح الهداية والنور إليها)^(٥) ، ومن هذه الموضوعات الجديدة

(١) يُنظر: الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام ، ٤١ ، د. محمد عبد النعم خفاجي .

(٢) يُنظر: الإسلام والشعراء ، ٨٢ ، د. سامي مكّي العاني .

(٣) سمر العقيدة : ٣١٧ .

(٤) يُنظر: شعر الفتح الإسلامية : ٢٤٦ .

(٥) مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام : ٢٣ ، د. حسين عطوان .

الشعر الديني الذي تحدثوا فيه عن عقيدة الدين الجديد ومُثله العليا ، ودعوا إلى التمسك بها ، والتحلي بما تدعو له هذه العقيدة ، وكذلك استحدثوا غرض الوعظ والإرشاد ، فدعوا الناس من خلاله إلى التزام أوامر الدين الجديد والحث على تنفيذها ، والتمسك بها ^(١) . مفيد من قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ ^(٢) . وهذا التأثير لم يتوقف عند حدود الموضوعات التي حملتها هذه الأشعار وما توحى من معنى ، بل امتد إلى البناء الفني لهذه الأشعار وطريقة تركيبها التي هي أساس مادتها الشعرية ، لأن موضوع الشهادة والشهيد ليس غرضاً قائماً بذاته في أغلب الأحوال وإنما حاول الشعراء أن يُخضّبوا معظم الأغراض الشعرية لجوانب مختلفة منه ^(٣) . يُضاف إلى هذه المادة ما أنشده المجاهدون من أناشيد تغنوا بها في ساحات الوغى يُرغّبون فيها أنفسهم وإخوانهم في مواصلة الجهاد والفوز بالشهادة في سبيل الله تعالى ، فأصبح لدينا نوعان من المنظومات هما: القصيد والرجز ، ولكي نبين أثر الإسلام في النوع الأول سوف ندرسه على وفق ثلاث مراحل: المقدمة ، المطع والخاتمة .

١. المقدمة:

إن الدارس لنصوص الشعر العربي قبل الإسلام يلاحظ على ناظميها تمسكهم بعمود الشعر العربي ، ومحافظتهم على معانيه ومبانيه ، ولم يخرجوا على شكله وأجزائه ، إذ أثبتوا في صدور قصائدهم الطويلة المقدمات المتنوعة التي يمكن توزيعها إلى اتجاهين: اتجاه أساسي ، وتمثله المقدمة الطللية ، والمقدمة الغزلية ، ومقدمته وصف الظعن ، واتجاه فرعي ، وتمثله مقدمة الشباب والشباب ، ومقدمة وصف الطيف ، ومقدمة الفروسية ، معتمدين في توزيعها على مقدار انتشارها في افتتاحات قصائدهم ^(٤) ، أمّا القصد من ذكر هذه المقدمات فيقول ابن قتيبة: (إن مقصد القصيدة إنما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار ، فبكى وشكا ، وخاطب الربع ، واستوقف

(١) يُنظر: الإسلام والشعر: ٨٢ - ٨٤ ، د. سامي مكي العلي .

(٢) سورة الحل: الآية ١٢٥ .

(٣) يُنظر: شعر العقيدة: ٣٠١ .

(٤) يُنظر: مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي: ١١٤ - ١٧٤ ، د. حسين عطاوان .

الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر أهلها الظاعنين عنها ، ... ، ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا شدة الوجد وألم الفراق ، وفرط الصباية والشوق ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه ، وليستدعي به إصغاء الإسماع إليه ، لأنَّ التشبيب قريب من النفوس لا نط بالقلوب ، ... فإذا علم أنَّه قد استوثق من الإصغاء إليه ، والاستماع له عقيب بإيجاب الحقوق ، فرحل في شعره ، فالشاعر الجيد من سلك هذه الأساليب ^(١) . لكن هذه المقدمات نجدها قليلة الوجود في قصائد شعراء المسلمين وما نظموا من أشعار تخص دراستنا ، وهذه القلة لا تعني (ثورة على التقاليد التي كانت تكاملت وتأصلت في قصائد الشعر الجاهلي منذ زمن مبكر ، بل كان ثمرة لا بد أن تنتجها الأحداث المتدافعة والتغيرات المتلاحقة التي كانوا يشهدونها) ^(٢) ، فظروف (القتال وقسوة الحياة تحت ظلال السيوف لم تكن لتعينهم على التنفس الغنائي الهادي) ^(٣) ، كما إنها لم تترك للشاعر فرصة الإسهاب في عرض أفكاره والخوض في جزئيات الأحداث ووقائعها ومن هنا كان الإيجاز سمة واضحة في هذا الشعر ، لأنه كان يدور في الغالب حول فكرة واحدة وينعدم فيه تعدد الأغراض ^(٤) .

فمن هذه المقدمات القليلة المقدمة الطللية الوحيدة التي انفرد بها حسان بن ثابت في قصيدته التي رثى بها حمزة بن عبد المطلب عليه السلام ، فبدأ هذه القصيدة بمخاطبة الأطلال الدارسة ثم انتقل بعدها إلى بكاء حمزة والإشادة بشجاعته وما تحلى به من معاني أصيلة ^(٥) ، فقال ^(٦) :

هَلْ تُعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمَهَا بَعْدَكَ صَوْبُ الْمُسْبِلِ الْخَاطِلِ

(١) الشعر والشعراء: ٢٠/١ - ٢١ .

(٢) مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام: ٢٣ .

(٣) شعر الفنون الإسلامية: ٢٣٨ .

(٤) يُنظر: لمحات من البطولة لعروة في شعر احرب: ٤٥ .

(٥) يُنظر: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٢٧٥ .

(٦) ديوانه: ٣٢١ .

يَبْنِ السَّرَادِيحَ قَادِمَائِسَةً فَمَذْفَعِ الرُّوحَاءِ فِي حَائِلٍ^(١)
سَأَلْتُهَا عَنْ ذَلِكَ فَاسْتَعْجَمَتْ لَمْ تَذَرِ مَا مَرَجُوعَةُ السَّائِلِ
دَعُ عَنْكَ دَاراً قَدْ عَفَا رُسْمُهَا وَأَبْكَ عَلَى حَمْزَةِ ذِي النَّائِلِ

ونجده قد صَنَّرَ قصيدتين اثنتين بمقدمة عاطفية ، كانت الاولى في رثاء شهداء اللواء يوم أحد ، وهذه المقدمة العاطفية هي بلا شك رمزٌ خفي لهؤلاء الشهداء ، ويتصل بطبيعة الموضوع الذي يُصوره حسان فيما بعد في رثاء هؤلاء الشهداء^(٢) ، فقال^(٣):

مَنْعَ النَّوْمِ بِالْعِشَاءِ الْهُمُومُ وَخَيَالٌ إِذَا تَغَوَّرَ التَّجُومُ
مِنْ حَبِيبٍ أَصَابَ قَلْبَكَ مِنْهُ سَقَمَ فَهُوَ دَاخِلٌ مَكْتُومُ
يَا لَقَوْمِي هَلْ يَقْتُلُ الْمَرْءَ مِثْلِي وَاهِنُ الْبَطْشِ وَالْعِظَامِ سَوْومُ
هَمُّهَا الْعِطْرُ وَالْفِرَاشُ وَيَغْلُو هَا لَجِيْنٌ وَلَوْلُوْ مَنْظُومُ
لَوْ يَدْبُ الْحَوَلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذُّ رَعْلَيْهَا لِأُذْبِتَتْهَا الْكُلُومُ
لَمْ تَفْقُهَا شَمْسُ النَّهَارِ بِشَيْءٍ غَيْرَ أَنَّ الشَّبَابَ لَيْسَ يَسْدُومُ

ويمضي الشاعر بعد ذلك في هذه القصيدة (فيفخر بنفسه فخرأ جاهلياً محضاً في أسلوبه ومعانيه حتى إذا بلغ موطن الرثاء حافظ على هذه الطبيعة الجاهلية على مستواه الفني المعروف لشعره الجاهلي ، لأنه لم يتطرق إلى أية معانٍ إسلامية من تلك التي كانت تواجهه بمشكلة الملاءمة بين التجربة الجديدة والأسلوب القديم)^(٤) ، فقال^(٥):

بَسْفَةٍ تَحْمِلُ اللَّوَاءَ وَطَارَتْ فِي رَعَاغٍ مِنَ الْقَنَاسِ مَخْزُومُ^(٦)

(١) السراديح: جمع سراج وهو الوادي أو المكان النضج . يُنظر: اللسان: ١٩٨٨/٣ ، وأدمانة: شعبة تدفع عن يمين بدر ثلاثة

أُمَيَّال ، وحائل: موضع . يُنظر: معجم البلدان : ١٠٧/١ و ١١١/٣ .

(٢) يُنظر: في الشعر الإسلامي والاموي: ٤٦ ، د. عبد القادر القط .

(٣) ديوانه: ٤٠ .

(٤) في الشعر الإسلامي والاموي: ٤٧ .

(٥) ديوانه: ٤١ .

(٦) الرَّعَاغ: رعاع الناس سُقَاضُهُمْ وَسَبْلُهُمْ . يُنظر: اللسان: ١٦٧٢/٣ (ر ع) .

لَوْ يُوَلُّوْا حَتَّىٰ أُبَيِّدُوا جَمِيعاً فِي مَقَامٍ وَكُلُّهُمْ مَذْمُومٌ
بِدَمٍ عَاتِكٍ وَكَانَ حِفَاطُاً أَنْ يُقِيمُوا ، إِنَّ الْكَرِيمَ كَرِيمٌ
وَأَقَامُوا حَتَّىٰ أَزِيرُوا شَعُوباً وَالْقَنَا فِي نُحُورِهِمْ مَخْطُومٌ
وَقَرَيْشٌ ثُلُودٌ مِّنَ الْوَادِ لَمْ يُقِيمُوا ، وَخَفَّ مِنْهَا الْحُلُومُ
لَمْ تُطَقْ حَمَلَةُ الْعَوَاتِقِ مِنْهُمْ إِنَّمَا يَحْمِلُ اللَّوَاءَ التُّجُومُ

ويسلك الشاعر هذا المسلك الفني النفسي في قصيدة أخرى رثى بها شهداء

المسلمين في موقعة مؤتة ، وهي - المقدمة - أيضاً رمزاً لما بعدها ^(١) ، قال ^(٢):

تَأْوَبُنِي لَيْلٌ يَثْرَبُ أَغْسَرُ وَهُمْ إِذَا مَا نَوْمَ النَّاسِ مُسْهِرُ
لِذِكْرِي حَبِيبٍ هَمَّجَتْ ثُمَّ عَبْرَةٌ سَفُوحاً وَأَسْبَابُ الْبُكَاءِ التَّذْكُرُ
بَلَاءٌ ، وَفَقْدَانُ الْحَبِيبِ بَلِيَّةٌ وَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ يُتَلَسَّى ثُمَّ يَضْبِرُ

ثم ينتقل مباشرة إلى الرثاء ^(٣) :

رَأَيْتُ خِيَارَ الْمُؤْمِنِينَ تَوَارِدُوا شَعُوبَ ^(٤) وَقَدْ خُلِفْتُ فِيمَنْ يُؤْخَرُ

وكعب بن مالك هو أيضاً قد صدر قصيدته التي رثى بها حمزة بن عبد المطلب

بمقدمة غزلية تغزل فيها بحبيبة ضمرية وتحسر فيها على سلخ الشباب الأغيد الذي طالما كان رمز رحيل الشباب عن عمر الشاعر إيداناً بأعراض الحبيبة وصدودها ، فالحبيبة الضمرية تدعو فؤاده للهوى وهو يودع الشباب الذي مضى ، وكان بوسعه أن يقيم على هذه المفارقة المؤلمة موقفاً نفسياً مفاجئاً ، ولكنه سرعان ما يغادر أرض المعاناة ويدع التماذي في الغواية ، ليس لإحساسه بفجيرة الموقف ، ولكن لأن الهوى (غوري) والصحب (منجد) ، وما أن يقترب من جرح المعاناة في البيت الأخير من مقطع

(١) يُنظر: في الشعر الإسلامي والأموي: ٤٨ .

(٢) ديوانه: ٩٨ .

(٣) المصدر نفسه: ٩٨ .

(٤) شعوب: اسم الية مؤنثة وهي معرفة لا تصرف ، وسميت بذلك لأنها تشعب أي تفرق . يُنظر: المخصص / ٢ لسر

السادس / ١٢١ .

النسيب حتى يأمر النفس أن تنتزع عما لم تعد أهلاً لممارسته من تجارب الحب ، وهذا الأمر منوط بباعثين: أحدهما باعث إسلامي قد يكون ذا أثر خفي في انتزاع النفس من مواطن الشبهات ، وثانيهما انقطاع النفس وعزم الشاعر على الانتقال إلى المجرى الرثائي من مقطع النسيب ، بعد أن أدرك أنه افتتاح مرثية لا يسمح النمط بامتداده كثيراً ، فجعل البيت الأخير من النسيب جسراً انتقل به النسيب إلى رثاء حمزة ^(١) ، فقال ^(٢):

طَرَقَتْ هُمُومُكَ فَالرَّقَادُ مُسَهَّدٌ وَجَزَعْتَ أَنْ سُلِيَخَ الشَّبَابِ الْأَغْيَدُ
وَدَعْتَ فُؤَادَكَ لِلْهَوَى ضُمْرِيَّةً فَهَوَاكَ غَوْرِيٍّ وَصَحْبِكَ مُنْجِدُ
فَدَعَ التَّمَادِي فِي الْغَوَايَةِ سَادِرًا قَدْ كُنْتُ فِي طَلَبِ الْغَوَايَةِ تُفْنِدُ
وَلَقَدْ آتَى لَكَ أَنْ تَنَاهِيَ طَائِعًا أَوْ تَسْتَفِيقَ إِذَا مَا نَهَاكَ الْمُرْشِدُ
وَلَقَدْ هُدِدْتُ لِفَقْدِ حَمْزَةِ هَدَّةٍ ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تَرَعِدُ

كما نجد هذه المقدمة الغزلية تنصدر قصيدة الشماخ بن ضرار الذبياني التي رثى بها بكير بن شداد الليثي ، فالشاعر في هذه المقدمة يقسم أنه لا ينسى وإن طال العيد به لقاءه بحبيبته ابنة الضمري في البلد الخالي ، لكنه كلما تذكرها وتذكر لقاءها شعر بعدم امكانية اللقاء بها مرة ثانية لانه قد حالت بينه وبينها قرى أذربيجان التي استشهد فيها هذا البطل الشجاع ، فقال ^(٣):

لَعَمْرِي لَا أَلْسَى وَإِنْ طَالَ عَهْدُنَا لِقَاءَ ابْنَةِ الضَّمْرِيِّ فِي الْبَلَدِ الْخَالِي
تَذَكَّرْتُهَا وَهَذَا ^(٤) وَقَدْ حَالَ دُونَهَا قُرَى أَذْرَبِجَانَ الْمَسَالِيحُ وَالْجَالِي ^(٥)

(١) يُنظر: بخصوص من الشعر العربي في صدر الإسلام ولعصر الأموي: ٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٢) ديوانه: ١٥٩ .

(٣) ديوانه: ٤٥٥ ، حققه وشرحه د. صلاح الدين امادي .

(٤) لوهم: نحو من نصف الليل ، بعد ساعة منه . يُنظر: اللسان: ٤٩٣٦/٦ (وهو) .

(٥) المساح: مواضع المحافة ، واحصالي: نقول جلا انقوم عن وُصاهم: يحون واجلوا إذا خرجوا من بلد إلى بلد ، فقصود

لشاعر القرى التي خربت وحلى عنها أهلها . يُنظر: اللسان: ٢٠٦١/٣ (سلح) .

والمصدر منه: ٦٦٩/١ (حلى) .

أَلَا يَا أَصْبَحَانِي قَبْلَ غَارَةِ سِنَجَالٍ ^(١) وَقَبْلَ مَنَايَا بَاكِرَاتٍ وَآجَالٍ
ثم ينتقل الى رثاء هذا الشهيد مُبْتَدِئاً ذلك في نهاية عجز بيته الاتي ^(٢):

وَقَبْلَ اخْتِلَافِ الْقَوْمِ مِنْ بَيْنِ سَالِبٍ وَآخِرِ مَسْلُوبٍ هَوَى بَيْنَ أَبْطَالٍ

فنحن نرى مما تقدم أن حسان وكعباً هما أكثر الشعراء - فيما يخص دراستنا - إحتفاءً بهذه المقدمات على قلتها ، أمّا غيرهم فلم نجد لهذه المقدمات وجوداً في أشعارهم ، وربما يعود سبب ذلك إلى أنهم لم (يكن لديهم ذلك الإلمام الواسع بالتراث الشعري الجاهلي ، ولا ذلك الرصيد الضخم من الألفاظ والعبارات والصور التي كان لابد أن يُلِمَّ بها الشاعر المحترف ويتخذها ركيزة لما يقول من الشعر) ^(٣) .

أمّا في العصر الأموي فقد تحرر معظم الشعراء من هذه المقدمات التقليدية التي حرص شعراء ما قبل الإسلام على التمسك بها ، وقلت عند شعراء صدر الإسلام ، وأصبحت نادرة الوجود عند شعراء هذا العصر ^(٤) ، فلا توجد منها إلاّ مقدمتان اثنتان غزليتان ، إحداهما افتتح بها أبو صخر الهذلي قصيدته التي رثى بها ابنه داود ، والأخرى كانت مقدمة لقصيدة الشرعبي الطائي التي نظمها متأثراً بمصائب شيداء المسلمين يوم الشعب ، وهذه الظاهرة ظاهرة افتتاح قصائد الرثاء بالغزل ، يمكن عزو تواجدها بهذه الصورة إلى سببين: الأول: أنها أصبحت تقليداً فنياً درج عليه الشعراء وحرصوا على أدائه . أما السبب الثاني: فيوإن عاطفة الصدود والفراق وعاطفة الرثاء هما إحساس يتدفق من ينبوع إحساس واحد ، وتتفقان بأنهما فراقاً ويستثيران عاطفة متشابهة ، ويعبران عن لوعة متقاربة ^(٥) ، وهذان التعليان كلاهما يدخل (في إطار واحد لأنهما يعبران عن وجدان ذاتي عاطفي) ^(٦) .

(١) السنجان: قرية بأرمينية وقيل بأدريجان . يُنظر: معجم البلدان: ٧٩/٥ .

(٢) ديوانه : ٤٥٦ .

(٣) في الشعر الإسلامي والأموي: ٤٩ - ٥٠ .

(٤) يُنظر: الإسلام والشعر: ٢٤٠ ، د. سامي مكي العاي .

(٥) يُنظر: شعراء أمويون: ق/١٧٤ .

(٦) انصهر عنه .

وعودة إلى مقدمة أبي صخر الهذلي الغزلية التي أوحى لنا في بدايتها ابتعاده عن اللهو وعزوفه عن النساء ، ونراه يحاكم نفسه وينصح الآخرين طالبا منهم الابتعاد عن النساء ، لكن هذه النصيحة كانت لها معارضة من قبل من نصحتهم ، الذين أجابوه: كيف تنهانا وأنت تحبهن وتتغزل بهن . عندها اعترف بردهم ولم ينكر جوابهم ^(١) ، فقال ^(٢):

تَعَزَّيْتَ عَنْ ذِكْرِ الصَّبِيِّ وَالْحَبَائِبِ وَأَصْبَحْتَ عِزْهَى لِلصَّبِيِّ كَالْمُجَانِبِ ^(٣)
وَأَصْبَحْتَ تُلْحِي حِينَ رَغَتْ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ أَنْ يُعَجَّبُوا بِالْكَوَاعِبِ
وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا لَقَدْ كُنْتَ مَرَّةً عَرَفْتُ وَلَمْ أَنْكِرْ جَوَابَ الْمُجَابِ

وبعد هذا الرد المقحم له يعود الى نفسه ثانية ليسوغ إعجابه بالنساء والحديث عنهن وقد سرن أسراباً كامثال الدمى ، يضمن الدجى ، وقد امتلأت وتكاملت أجسامهن وهن يمشين بخطى وثيدة ، وبعيدات عن كل ما يشين عفتهن ، ويستمر في غزله لهن وما جرى بينه وبينهن وما ناله منهن ^(٤) ، فقال ^(٥):

فَإِنْ يَلْبَسُوا بُرْدَ الشَّبَابِ وَخَالَهٖ وَأَعْتَدِ فِي أَطْمَارٍ أَشْعَثَ شَا حِجِبِ
فَسِرْبِ كَأَمْثَالِ الدَّمَى مُنْتَهَى الْمَنَى يُضِنُّ الدَّجَى لَفٍّ ثَقَالِ الْحَقَائِبِ
قِصَارِ الْخُطَى شَمِّ شُمُوسٍ عَنْ الْخَنَا خِدَالِ الشَّوَى فَتُخِ الْأَكْفُ خَرَاعِبِ
كَمَرَزِ السَّقَى فِي حَائِرِ غَدَقِ الثَّرَى عَذَابِ اللَّمَى يُحْبِنَ طَلَّ الْمَنَاسِبِ
كَبَيْضِ الثَّقَا فِي حَاجِرِ قَرْدِ الثَّرَى جَلْثُهُ الصَّبَا مِيلَ طَوَالِ الدَّوَائِبِ
تَصَابَيْتُ حَتَّى اللَّيْلِ مِنْهُنَّ رَغْبَتِي رَوَانِي فِي يَوْمٍ مِنَ اللَّهِ وَهَاضِبِ

(١) شعراء أمويون: ق ٢٠/٤ - ٢١ .

(٢) شرح أشعار الهذليين: ٩١٥/٢ - ٩١٦ .

(٣) الصواب في كلمتي (الصبي وعمره) أن تكونا بالالف القائمة (الصبا وعمرها) لأن أصل هذه الالف واو ، ولم يغير ذلك في المتن لأن الشعر هكذا ورد في الديوان . ينظر: أدب الكاتب: ٢٠٣ - ٢٠٥ لاس فنية ، تحقيق محمد عبيد الدين عبد الحميد

(٤) يُنظر: شعراء أمويون: ق ٢١/٤ .

(٥) شرح أشعار الهذليين: ٩١٦/٢ - ٩١٧ .

(والليل هنا له الصورة التي عودنا على ذكرها كل الذين تفرغهم ظلمته ، وتغشاهم سعتهم وتطويهم أستاره ولكل واحد منهم فيه مآربه) (١) ، ويستمر في غزله فيقول (٢):

مَعِي غَزَلٌ ذُو نِقَّةٍ مُتَنَافِسٌ جَمِيلٌ مُحْيَاهُ قَلِيلُ الْمَعَايِبِ
فَرَحْنَا وَلَمْ يَحْتَزَنْ سِرًّا لِغَيْرِنَا سِوَانَا وَلَمْ نَعْبَثْ خِلَاسَ الْمَنَاهِبِ

ويصل في أواخر لوحته الغزلية هذه إلى إعراض النساء عنه لما شاب ، لكن لا ذنب له في ذهاب الليالي ، ودوام الأيام ، وأمام هذا الصدود منهن تجاهه يلجأ إلى ترضية نفسه مُذْكَراً إياها أنه سبق له أن نال مآربه من لذاتهن (٣) ، فقال (٤):

فَأَعْرِضْنِي لِمَا شَبْتُ عَنِّْي تَعَزُّمًا وَهَلْ لِي ذَنْبٌ فِي اللَّيَالِي الدَّوَاهِبِ
فَلَا مَا مَضَى يَتَنَى وَلَا الشَّيْبُ يُشْتَرَى فَأَصْفِقْ عِنْدَ السَّوْمِ بَيْعَ الْمُخَالِبِ
فَإِنْ أَرَمْنَهُنَّ الْغَدَاةَ صَرِيحَةً فَقَدْ نَلْتُ مِنْ لَذَاتِهِنَّ مَآرِبِي

وهذه المحاولة الأخيرة هي حالة من (الشعور باليأس ، وإحباط يُوحى بالتراجع ، وصورة تُدلل على الإخفاق الذي يمتلك خوافق الشاعر) (٥) . وقد استغرقت هذه المقدمة أربعة عشر بيتاً ، بعدها انتقل إلى تمهيد له علاقة برثاء ابنه داود ، إذ افتتحه بذكر الذين رُزِي بهم من أخ أو عم ، أو ابن أخ وكريم ، فيقول (٦):

وَكَمْ مِنْ أَخٍ أَوْ عَمٍّ صِدْقٍ رُزِيَتْهُ أَوْ ابْنٍ أَخٍ سَمَحٍ كَرِيمٍ الضَّرَائِبِ

أمّا المقدمة الغزلية الثانية فكانت كما تقدم لقصيدة الشرعبي الطائي التي نظمها في حق شهداء يوم الشعب ، ففي هذه المقدمة نجده يتذكر حبه لحبيبتة هند التي أضحت بعيدة عنه ، في ديار غريبة بعيدة ، ويسأل إن كان حبل الشوق سيجمع بينهما مرة أخرى ،

(١) شعراء أمويون: ق ٢١/٤ .

(٢) شرح أشعار المهذلين: ٩١٧/٢ .

(٣) يُنظر: شعراء أمويون: ق ١٩/٤ .

(٤) شرح أشعار المهذلين: ٩١٧/٢ .

(٥) شعراء أمويون: ق ١٩/٤ .

(٦) شرح أشعار المهذلين: ٩١٧/٢ .

وما زال يتذكر هنداً ويذكر ما يحول بينه وبينها ، إنه الشعب الذي لاقى فيه شهداء المسلمين مصيرهم ، فقال (١) :

تَذَكَّرْتُ هِنْدًا فِي بِلَادِ غَرِيبَةٍ قِيَالِكَ شَوْقًا هَلْ لِيْهِمْلِكَ مَجْمَعُ
تَذَكَّرْتُهَا وَالشَّاشُ يَنْبِي وَيَنْهَى وَشِعْبٌ عِصَامٍ وَالْمَنَايَا تَطْلَعُ

فذكر في مقدمته القصيدة هذه رموزاً ذات علاقة بغرض القصيدة ، فهند التي أصبحت في بلاد بعيدة ، ما هي إلا رمزٌ لشهداء المسلمين الذين استشهدوا في بلاد خاقلن البعيدة وبعد هذه المقدمة تطرق الى مضمون قصيدته ، فذكر مسير أعداء الإسلام ، خاقان وجنده الذين فاقوا المسلمين في العدد والعدة ، ومع مسير هذا الجيش شرعت المنايا ، فقال (٢) :

بِلَادُ بِهَا خَاقَانُ جَمَّ زُخُوفُهُ وَنَيْلَانُ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مُقْتَنَعُ
إِذَا دَبَّ خَاقَانُ وَسَارَتْ جُنُودُهُ أَتَتْنَا الْمَنَايَا عِنْدَ ذَلِكَ شُرْعُ

وفي بقية أبيات القصيدة نراه جاعلاً هنداً رمزاً لقلعة المسلمين ، فهي تطلب المساعدة ، وتتحدى طالبة الحماية ، فهو يحاول مساعدتها والدفاع عنها (٣).

وكما تبين مما تقدم فإن هاتين المقدمتين هما ما وجدَّ عند شعراء هذا العصر فيما يخص موضوع الدراسة ، فهي إذاً قليلة الوجود عند شعراء صدر الإسلام ، ونادرة الوجود عند شعراء العصر الأموي ، وهذا الفرق بينهما يمكن أن يعزوه البحث - ومن خلال الدراسة - إلى أن قلته عند شعراء صدر الإسلام كان من أثر الشعراء المخضرمين ، الذين تمسكوا ودرجوا على هذا الأسلوب عندما كانوا ينظمون أشعارهم قبل الإسلام ، وقد انتقل هذا المنهج معهم إلى ما نظموه من أشعار إسلامية (٤).

(١) تاريخ الطبري: ٢١٤/٨ - ٢١٥ .

(٢) المصدر نفسه : ٢١٥/٨ .

(٣) يُنظر: المصدر نفسه .

(٤) يُنظر: شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه: ٣٤٨ - ٣٤٩ .

فهذه المقدمات كما تبين كانت قليلة الوجود في أشعارهم ، ومتأثرة بتعاليم الدين الإسلامي ، أمّا في العصر الأموي فإن شعراءه قد تركوا عن هذا التقليد الجاهلي الأصل ، لأنهم وجدوا بديلاً عنه ، كالمقدمات الدينية التي شاعت بكثرة في عصرهم ^(١) .

٢. الطابع:

منما اهتم النقاد والشعراء القدامى بمقدمة القصيدة ، نال مطلعها اهتمامهم وعنايتهم ، (لأنه أول ما يقرع السمع ، وبه يُستدل على ما عنده من أول وهلة) ^(٢) ، وهذا المطلع اشترطوا له شروطاً بتوافرها تكتمل جودته ويُفهم معناه ، فلا بدّ (أن يكون مطلع القصيدة دالاً على ما بُنيت عليه ، مُشعراً بغرض الناظم ، من غير تصريح بل بإشارة لطيفة تعذب حلاوتها في الذوق السليم ، ويُستدل بها على قصده) ^(٣) . فإذا توفرت فيه شروط الإجابة وكان (حسناً بديعاً ، ومليحاً رشيقاً ، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام) ^(٤) ، والشاعر الجيد هو من (أجاد الابتداء والمطلع) ^(٥) . ولا بدّ أن يكون المطلع ملائماً لمضمون القصيدة ، فقصيدة الرثاء مثلاً لا بدّ أن يكون مطلعها ذا علاقة بذكر (البكاء ووصف إفقار الديار وتشنّت الآلاف ونعي الشباب ، وذم الزمان ...) ^(٦) ، وهذا ما وجد فعلاً عند قسم من شعراء صدر الإسلام الذين جعلوا من البكاء والحزن مطلعاً لعدد من قصائدهم التي نظموها في رثاء شيداء المسلمين ، والإحصاء الآتي الذي أجري على أشهر الشعراء والشواعر المسلمين وغيرهم

(١) ينظر: الإسلام والشعر: ٢٤٠ ، د. سامي مكّي العلي .

(٢) العمدة: ٢١٧/١ ، لابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، وينظر: حزانة الادب وغاية الارب:

٢١/١ لابن حجة الحموي ، شرح عصام شعيتو .

(٣) حزانة الادب وغاية الارب: ٣٠/١ .

(٤) الصناعتين: ٤٣٧ ، لابي هلال العسكري ، تحقيق علي محمد البحاوي ، ومحمد ابو الفضل ابراهيم .

(٥) الطرار التضمن لاسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز: ٢٧٧/٢ ، للإمام يحيى بن حمزة العلوي ، وينظر: الصناعتين:

٤٣٤ .

(٦) عيار الشعر: ١٢٢ ، لابن طاطبا العلوي ، تحقيق د. طه الخاجري ، ود. محمد رغلول سلام ، الصناعتين: ٤٣١ .

من نظم شعراً رثى به شهداء المسلمين يبين ذلك .

ت	الشعراء وغيرهم من لم يتخصص به	عدد القصائد	عدد مطالعها البكائية
١.	حسان بن ثابت	٢٧	٩
٢.	كعب بن مالك	١٠	٧
٣.	عبد الله بن رواحة	١	١
٤.	أبو الأسود الدؤلي	٢	١
٥.	الوليد بن عقبة	٥	١
٦.	خالد بن الوليد	٢	٢
٧.	عمار بن ياسر	١	١
٨.	عاتكة بنت زيد بن نفيل	٣	٢
٩.	هند بنت لثالة بن عباد	١	١
	المجموع	٥٢	٢٥

فمن خلال هذا الإحصاء يتبين لنا أن نصف مطالع هذه القصائد أو ما يقارب النصف كانت بكائية حزينة ، أما النصف الآخر من هذه المطالع فتتوزع بتتوزع ثقافة الشعراء وغاية كل واحد منهم .

فحسان بن ثابت نجده في مريثة له ومن خلال مطالعها صابراً محتسباً ، ومؤمناً بقدر الله تعالى وقضائه ، وأن هذا القدر وهذا القضاء إذا ما قرره الله تعالى فلا دافع له ، كما أن صالح الأيام الماضية ليس لها رجعة ، هذا ما تضمنه مطلع قصيدته التي رثى بها سعد بن معاذ ، فقال (١) :

أَلَا يَا لَقَوْمٍ هَلْ لِمَا حُمَّ دَافِعُ وَهَلْ مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ الْعَيْشِ رَاجِعُ

وفي مريثة أخرى له جعل من مطالعها دعاءً لشهداء الرجيع بالرحمة والمغفرة ، لأنهم جاهدوا وَقَاتَلُوا وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى ، فقال (١) :

صَلَّى إِلَهُ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأَكْرِمُوا وَأَيُّمُوا

(١) ديوانه : ٢٦٧ .

(٢) انظر نفسه : ١٧٩ .

واتبع نهجه هذا الشماخ بن ضرار حين استهل مطلع مرثيته التي رثى بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عليه السلام ، فدعا له بالخير وأن يجزيه الله تعالى خير الجزاء ، وأن يبارك في جسده الممزق ، فقال ^(١) :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكْتَ يَدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمَزْقِ

أما الإمام علي عليه السلام فنجدته في مطلع قصيدته التي رثى بها شهداء أحد مؤمنا بالله تعالى وموحداً له تعالى غاية الإخلاص ، فقد أثبت الإمام في هذا المطلع ديمومة الله تعالى وأما غيره فبهلك ويفنى ، وهو القادر على كل شيء ، فيلجأ إليه كل الخلق إذا ما مشيهم السوء وهو القادر على ذهابه ، وهذا الملك العظيم هو الله وحده لا يشركه فيه أحد ، وهو تعالى الذي عرّف الكفار منزلهم في نار جهنم ، أما المؤمنون فسيجزئهم الجنة بما وعدهم ، فهذا الإمام علي يثبت ذلك كله ^(٢) :

اللَّهُ حَيٌّ قَدِيمٌ قَادِرٌ صَمَدٌ فَلَيْسَ يُشْرِكُهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ
هُوَ الَّذِي عَرَّفَ الْكُفَّارَ مَنَزِلَهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا وَعَدُوا

وهذا الحطينة يحزن لاستشهاد الفاروق عمر بن الخطاب عليه السلام ، وينطق لسانه حكمة أودعها مطلع مرثيته له ، ومفادها أن البكاء لا يرد هالكا ، فإن كان قد ردّ أحداً ، فليحيد الباكون على عمر ، فقال ^(٣) :

تَأْمَلْ فَإِنْ كَانَ الْبُكَاءُ رَدًّا هَالِكًا عَلَى أَهْلِهِ فَاجْهَدْ بُكَاءَكَ عَلَى عَمْرِ

أما حسان بن ثابت فنجدته في قصيدته التي رثى بها حمزة بن عبد المطلب عليه السلام يُصور لنا محاورته مع ابنته التي جاءت تسأل عن قبر أبيها الشجاع المغوار ، وقصده من هذه المحاورّة تأكيد شجاعة هذا الرجل البطل الذي لقّبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بأسد الله ، في أذهان المستمعين ، فقال ^(٤) :

تَسْأَلُ عَنْ قَسْرٍ هِجَانٍ سَمِيدٍ لَدَى الْبَاسِ مِغْوَارِ الصَّبَاحِ جَسُورِ

(١) ديوانه : ٤٤٨ ، ويُنظر: مثله في ديوان حسان : ٣٢٠ .

(٢) ديوانه : ٦٢ .

(٣) ديوانه : ٢٩٨ .

(٤) ديوانه : ١٣٣ ، وفي معجم ديوان أشعار الباء تسب لصعبة بت عبد المطلب : ١٠٥ .

كذلك نجد كعب بن مالك قد استهل قصيدته التي رد بها على ضرار بن الخطاب الذي فخر بمقتل الشهيد سعد بن معاذ رضي الله عنه ، بمطلع يجيب فيه على سائلة تسأل عما لقّيه المسلمون يوم الخندق ، فاجابها أنها لو شهدت نفسها ذلك اليوم لرات صبر المجاهدين المسلمين ومنهم الشهيد سعد بن معاذ ، وقصده من هذه المحاوراة أن يبين لضرار شجاعة المسلمين وصبرهم التي بيّنها في بقية أبيات القصيدة ، فقال ^(١):

وَسَائِلَةٌ تُسَائِلُ مَا لَقَيْنَا وَلَوْ شَهِدَتْ رَأَتْهَا صَابِرِينَ
صَبَرْنَا لَا نَرَى لِلَّهِ عِدْلًا عَلَى مَا نَابَنَّا مُتَوَكِّلِينَ

إن الرد السريع على اعداء الإسلام كان يقتضي جواباً سريعاً يعتمد على المطلع المباشر لفكرته ، ولذا نجد أن قسماً من المطالع جاءت مركزة ومكثفة تشع خلال الأبيات وتتفاعل في وحدة الموضوع ، وتمثل مفتاحاً لما سيأتي بعدها من أبيات تتغنى بشجاعة المسلمين في القتال وإقدامهم وحبهم للشهادة في سبيل الله تعالى ^(٢) ، ويشبه هذا المعنى ما نجده في مطلع أبيات كعب بن مالك التي أنشدتها يوم خيبر وأكد فيها شجاعة المسلمين وإقدامهم وحبهم للشهادة ، فقال ^(٣):

وَنَحْنُ وَرَدْنَا خَيْرًا وَفُرُوضَهُ بِكُلِّ فِتْيَ عَارِي الْأَشَاجِعِ مَذُودِ

وفي أبياته الأخرى التي أنشدتها يوم أحد مجيباً بها المشركين الذين فخروا بمقتل شهداء المسلمين ، فأبلغ في رد سريع قريشاً وتعجب من فخرها على ما تظن أنها فعلت أمراً يستحق الفخر ، لان الذين قتلتهم هم شهداء أبرار ، ومن بقي منهم حياً فهو أسد شجاع ، فقال ^(٤):

أَلَا أَبْلِغُ قَرِيشًا عَلَى نَائِيهَا أَتَفْخَرُ مِنَّا بِمَا لَمْ تَلِي؟

وقد وجدنا قسماً من المطالع قد استجاب لروح العصر وما به من أحداث ، بحيث أن ذوي الأحداث انعكس من خلاله ، فمثل لنا صورة جلية من صور الالتزام بالنزاهة

(١) ديوانه: ٢١٥ .

(٢) يُنظر: أثر الإسلام في بقاء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي: ١٢ ، رسالة دكتوراه - كلية الآداب - بغداد -

أحمد شاكر غصيب - ١٩٨٩ .

(٣) ديوانه: ١٦٤ .

(٤) المنصر نفسه: ٢٠١ .

الشاعر تجاه أحداث عصره ^(١)، فمطلع قصيدة حسان التي رثى بها سليط بن قيس ^(٢) نراه يستجيب للحدث الكبير الذي أصاب المسلمين يوم الجسر ، فقال ^(٣):

لَقَدْ عَظُمَتْ فِينَا الرِّزْيَةُ إِنَّنَا جِلَادٌ عَلَى رَبِّ الْحَوَادِثِ وَالذُّهْرِ
عَلَى الْجِسْرِ يَوْمَ الْجِسْرِ هَفِي عَلَيْهِمْ فَيَا نَهْفَ نَفْسِي لِلْمُصَابِ عَلَى الْجِسْرِ

أمّا كعب بن مالك فقد استهل مطلع مرثيته التي رثى بها حمزة بالأمر ، طالبا من خلاله أن تبكي صفية وتبكي النساء معها على حمزة ، فقال ^(٤):

صَفِيَّةٌ قُسُومِي وَلَا تَعْجَزِي وَبَكِّي النِّسَاءَ عَلَى حَمْزَةٍ

أمّا شعراء العصر الأموي فهم أيضاً اهتموا بمطالع أشعارهم التي تنوعت بتنوع ثقافة الشعراء ، واختلاف مضامين أشعارهم ، وصلة هذه المطالع بما بعدها من أشعار ، وما يرومه الشاعر من مطلع الشعري ، ولكنّ مطالع أشعار هذا العصر كانت أقل من مطالع أشعار صدر الإسلام ، وهذا لا يعني أن هؤلاء الشعراء لم يهتموا بمطالع أشعارهم ، بل إن السبب يعود الى قلة ما وصل إلينا من شعر الشهادة والشهيد الخاص بهذا العصر فما جمعناه من هذا الشعر لهذا العصر قد وصل إلى نصف عدد شعر الشهادة والشهيد ، في عصر صدر الإسلام ^(٥)، وهذه المطالع على قلتها لم يكن نصفها ولا ربعها بكائياً كما هو الحال عند شعراء صدر الإسلام ، وسبب هذا الفرق نعزوه الى أن هؤلاء الشعراء الذين صدروا أشعارهم بهذه المطالع البكائية لم يستندوا إلى أساس معين حينما نظموا أشعارهم ، بل كان الأساس في ذلك ما توحى اليهم عواطفهم ، وممن أجل ذلك كان هناك اختلاف واضح بين شاعر وآخر ^(٦).

(١) يُنظر: أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي: ١٤ .

(٢) هو سليط بن قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك بن عدي بن عامر . ابن الحار الأنصاري ، شهد بدرًا وما بعدها من

المشاهد كلها ، وقُتل يوم حسر أبي عبيدة شهيداً . ينظر: الإستيعاب: ٦٤٦/٢ .

(٣) ديوانه: ٤٢٢ .

(٤) ديوانه: ١٧٥ .

(٥) يُنظر: هذا البحث ص ٣٥١ ، وص ٣٥٦ ، حيث أخصّيت المادة الشعرية في العصرين .

(٦) يُنظر: الرثاء في الشعر الخامي وصدر الإسلام: ١٩١ .

فمن هذه المطالع البكاية الحزينة ما نجده عند الفرزدق وهو يرثي القائد الفارس الشجاع الجراح بن عبد الله الحكمي ، إذ استهل مرثيته بمطلع بكائي حزين ، فقال ^(١) :

وَقَائِمَةٌ قَامَتْ فَقَالَتْ لِنَائِحٍ تَفِيضُ بِعَيْنِهِ الدَّمُوعُ السَّوَاغِمُ
أما الشمردل اليربوعي فنراه يستهل مرثية لأخويه قدامة ووائل بمطلع حزين عبر فيه عن حزنه تجاه فقده أخيه ، فقد كان كريم العطاء ، فقال ^(٢) :

اعاذلْكُمْ مِنْ رَوْعَةٍ قَدْ شَهِدْتَهَا وَغَصَّةُ حُزْنٍ فِي فِرَاقٍ أَخٍ جَزَلٍ
ونجد هذا الحزن والبكاء أيضا في مطلع شعر خالد بن المعارك الذي وصف لنا به ما حل بشهداء يوم الشعب ، فقال ^(٣) :

أَيُّنَ حِمَاةَ الْحَرْبِ مِنْ مَعْشَرٍ كَانُوا جَمَالَ الْمَنَسْرِ الْحَارِدِ
بَادُوا بِأَجَالٍ تَوَافَوْا لَهَا وَالْعَائِرُ الْمُتَهَلُّ كَالْبَائِسِ
فَالْعَيْنُ تُجْرِي دَمْعَهَا مُسْبِلًا مَا لِدُمُوعِ الْعَيْنِ مِنْ زَائِدِ
ونجده أيضا حزينا على وفاة أسد بن عبد الله الذي وافاه الأجل في خراسان ، وقد أودع حزنه هذا مطلع رثائه له فقال ^(٤) :

نَعَى أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ نَاعٍ فَرِيعَ الْقَلْبِ لِلْمَلِكِ الْمُطَاعِ

وبعد هذه الأمثلة للمطالع البكاية الحزينة ننتقل إلى بقية مطالعهم المتنوعة ، فهذا الفرزدق قد استهل مرثية لابن أخيه محمد بالدعاء بالسقيا له ، فقال ^(٥) :

سَقَى أَرْيَحَاءَ الْغَيْثِ وَهِيَ بَغِيضَةٌ إِلَيَّ وَلَكِنْ بِي لِسَقَاهُ هَامَهَا

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٨٠٦/٢ .

(٢) شعراء أمويون: ق ٥٤٧/٢ .

(٣) تاريخ الطبري: ٢١٥/٨ .

(٤) المصدر نفسه : ٢٤٨/٨ .

(٥) شرح ديوان الفرزدق: ٧٥١/٢ .

وكذلك الأمر نفسه نجده في رثاء سليمان بن قتة لصديقه أسد بن عبد الله إذ افتتحها بالدعاء بالسقيا له ، فقال (١):

سَقَى اللهُ سَهْلَ بَلْعٍ وَحَزَنَهَا وَمَرَوَى خُرَاسَانَ السَّحَابِ الْجُمُومَا

أمّا ابو صخر الهذلي فيبدأ مطلع مرثيته لابنه داود بأنه قد ترك اللهو وانحاز عنه ، فاصبح لا يحب هذا اللهو ، ولا النساء ، فقال (٢):

تَعَزَّيْتُ عَنْ ذِكْرِ الصَّبِيِّ وَالْجَائِبِ وَأَصْبَحْتُ عِزْهَى لِلصَّبِيِّ كَالْمَجَانِبِ

في حين وجدنا أن قسما من الشعراء قد نظموا أشعارهم دون أن يجعلوا لها مطلع معينة ، فهذا الشمرل يرنّي أخاه حكماً ، فمنذ البداية يعلن أنه قد استشهد ، والناس تطلب منه أن يحتسبه في سبيل الله تعالى ، دون ان يجعل لهذا الرثاء أي مقدمة أو مطلع بل دخل إلى غرضه مباشرة ، فقال (٣):

يَقُولُونَ احْتَسِبْ حَكَمًا وَرَاحُوا بِأَيُّضَ لَا أَرَاهُ وَلَا يَرَانِي

ونجده أيضا ينظم قصيدة رد بها على الذي فرح وشمت بمقتل اخوته ، فمنذ البداية

(١) تاريخ الطبري: ٢٤٩/٨ .

(٢) ديوان أشعار الهذليين: ٩١٥/٢ .

(٣) شعراء أمويون: ق ٥٥٣/٢ .

وفي أول بيت منها نجده يرد عليه دون أي تمهيد ، فقال ^(١):

يَا أَيُّهَا الْمُبْتَغِي شَتْمِي لِاشْتِمِهِ إِنَّ كَانَ أَعْمَى فَإِنِّي عَنْكَ غَيْرُ عَمٍّ

وهذا سواده بن عبد الله السلولي يذكر في أول مرثيته لهبيرة بن المشمرج أنه قد

مات ، وقد ضُمنَ في قبره ، فقال ^(٢):

لِلَّهِ قَبْرُ هَبِيرَةَ بْنِ مُشْمَرَجٍ مَاذَا تَضُمَّنَ مِنْ نَدَى وَجَمَالٍ

هذا أهم ما وُجِدَ من مطالع لشعراء هذا العصر فيما يخص مادة البحث ، ومما تقدم

يُمكن القول أن هناك فرقا بين هذه المطالع - أي مطالع شعراء العصر الأموي - ومطالع

شعراء صدر الإسلام وقد أوضحنا سبب هذا الفرق .

٣. الخاتمة:

لا يَقلُّ شأنُ الخاتمة عن شأن المطالع وقبله كانت المقدمة ، فهي -

الخاتمة - مما ينبغي أن يتأنق الشاعر في نظمها ، حتى تكون أعذب لفظاً ، وأحسن

سبكاً ، وأصحَّ معنى ^(٣) لأن (خاتمة الكلام أبقى في السمع والصق بالنفوس ، لقرب العهد

بها ، فان حسنت حسن ، وإن قبحت قبح) ^(٤) ، " والأعمال بخواتيمها " ^(٥) كما قال رسول

الله ﷺ . ولكي تكتمل جودة الختام ويتم معناه لابد أن (يكون مُحْكَمًا لا تمكن الزيادة

عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر

قفلاً عليه) ^(٦) ، فإن كان غير ذلك (ربما أنسى محاسن ما قبله) ^(٧).

وقد وُجِدت الخواتيم الشعرية التي تخص موضوع البحث متعددة متنوعة ، فكل

واحد منهم ختم شعره بما يريد أن يفهمه العقول ويجعله خالداً لا يُنسى .

(١) شعراء أمويون: ٢/ ٥٥٠ .

(٢) تاريخ الطبري: ٨/ ٩٦ .

(٣) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ٤٢٨ ، خلال الدين القروي .

(٤) العمدة: ١/ ٢١٧ ، ويُنظر: خزانة الأدب وعاية الأرب: ٢/ ٤٩٣ .

(٥) صحيح البخاري: ٥/ ٢٣٨١ .

(٦) العمدة: ١/ ٢٣٩ .

(٧) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ٤٣٤ .

فقسم من هؤلاء الشعراء ختم قصيدته بموازنة بين فيها مصير حزب المؤمنين وحزب الكافرين ، فالأول في الجنان مُخلد ، والثاني في جهنم ثاو^(١) ، فقال حسان^(٢) :

فَبِإِنْ تَذْكُرُوا قَتْلَى وَحَمْزَةً فِيهِمْ قَتِيلٌ ثَاوَى اللَّهِ وَهُوَ مُطِيعٌ
فَبِإِنْ جَنَانَ الْخُلْدِ مَنَزَلُهُ بِهَا وَأَمْرُ الَّذِي يَقْضِي الْأُمُورَ سَرِيعٌ
وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ أَفْضَلُ رِزْقِهِمْ حَمِيمٌ مَعَاً فِي جَوْفِهَا وَضَرِيعٌ

وهذه الموازنة العادلة نجد كعب بن مالك قد ختم بها قصيدته التي رثى بها حمزة عليه السلام ، فقال^(٣) :

شَتَانٌ مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيًّا أَبَدًا وَمَنْ هُوَ فِي الْجَنَانِ مُخَلَّدًا
والأمر نفسه وجدَّ عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، إذ ختم مرثيته لحمزة بهذه الموازنة ، التي أكد فيها مصير المؤمنين ، ومصير الكافرين ، فقال^(٤) :

وَمَا سَيَانَ مَنْ هُوَ فِي جَحِيمٍ يَكُونُ شَرَابُهُ فِيهَا صَدِيدًا
وَمَنْ هُوَ فِي الْجِنَانِ يُدْرُ فِيهَا عَلَيْهِ الرِّزْقُ مُعْتَبَطًا حَمِيدًا

كذلك ختم قسم منهم قصائدهم بإيضاح فضائل الشهداء الأبرار وغيرهم من الصحابة الكرام ، ففي قصيدة حسان التي رثى بها شهداء مؤتة نراه يختتمها ببيان فضله ، قسم أولياء الله تعالى ، عليهم أنزل حكمه وكتابه . لانهم من حيٍّ كريم عزيز جامع لكل خير قد جمع النبي صلى الله عليه وآله ، وآل بيته الأطهار ، فمنهم علي بن أبي طالب وأخوه عقيل بن أبي طالب^(٥) "رضي الله عنهما" ، ومنهم أعمام المصطفى صلى الله عليه وآله الحمزة والعباس "رضي الله عنهما" ، فقال^(٦) :

هُمُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ عَلَيْهِمْ ، وَفِيهِمُ الْكِتَابُ الْمَطْهَرُ

(١) يُنظر: أثر الإسلام في بناء القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي: ٢٣ .

(٢) ديوانه: ٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٣) ديوانه: ١٦١ .

(٤) الرهرة ، الصف الثاني: ٤٠ للإصغاني ، تحقيق د. إرمين السامري د. موري القيسي ، ديوانه: ٧١ .

(٥) يُنظر: الإستيعاب: ١٠٧٨/٣ .

(٦) ديوانه: ٩٨ - ٩٩ .

بِهَا لَيْلٌ^(١) مِنْهُمْ جَعْفَرٌ وَابْنُ أُمِّهِ عَلِيٌّ وَمِنْهُمْ أَحْمَدُ الْمُتَخِيرُ
وَحَمْزَةُ وَالْعَبَّاسُ مِنْهُمْ وَمِنْهُمْ عَقِيلٌ ، وَمَاءُ الْعُودِ مِنْ حَيْثُ يُغْصَرُ

والأمر نفسه نجده عند كعب بن مالك إذ أثبت في ختام قصيدته التي رثاهم بها أنهم
بهديهم رضي الله لخلقه ، وبقتالهم وجيادهم نصير النبي ﷺ فقال^(٢):

وَبِهَدْيِهِمْ رَضِيَ إِلَهُ خَلْقِهِ وَبِجَدِّهِمْ نُصِرَ النَّبِيُّ الْمُرْسَلُ

وهذا الإمام علي عليه السلام ينهي قصيدته التي رثى بها شهداء المسلمين يوم أحد بصديق
هؤلاء الأبرار على ما عاهدوا الرسول الكريم ﷺ عليه من جهاد أعداء الإسلام ، ومن
هؤلاء حمزة ومصعب بن عمير^(٣) الذي كان كحمزة أسداً مغواراً ، فشهداء
المسلمين ليسوا كقتلى الكافرين الذين أدخلهم الله تعالى نار جهنم ، فقال^(٤):

قَوْمٌ وَقَفُوا عَهْدَ الرَّسُولِ وَاحْتَسَبُوا شَمَّ الْعَرَانِ مِنْهُمْ حَمْزَةُ الْأَسَدُ
وَمُصْعَبٌ كَانَ لَيْثًا دُونَهُ حِرْدًا حَتَّى تَرْمَلَ مِنْهُ ثَعْلَبُ جَسَدُ
لَيْسُوا كَقَتْلَى مِنَ الْكُفَّارِ أَدْخَلَهُمْ نَارَ الْجَحِيمِ عَلَى أَبْوَابِ الرُّصَدِ

ونعود إلى حسان الذي ختم مراثيته لجعفر بن أبي طالب عليه السلام ، بأنه يُعد من خير
الناس بعد النبي ﷺ ، فقال^(٥):

عَاخِرٌ ، بَعْدَ مُحَمَّدٍ لَا شِبْهَهُ بَشَرٌ يُعَدُّ مِنَ الْبَرِيَّةِ جُلْهَا

ولم ينس كعب بن مالك جهاد حمزة واستشهاده في سبيل الله تعالى ، إذ أوضح في
ختام مراثيته له أنه كان يريد بذلك مرضاة رسول الله ﷺ التي توجب له مرضاة رب

(١) بهاليل: جمع هلول وهو أخي الكريم وسعير جمع لكل خير . ينظر: اللسان : ٣٧٥/١ (هل) .

(٢) ديوانه: ٢٠٦ .

(٣) هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف .. بكى أبا عبد الله ، كان من حلة الصحابة وفضلهم وهو من أوائل
المنهاجرين إلى أرض الحبشة ، شهد بدرًا ثم أحما الذي قُتِلَ فيها شبيهاً . ينظر: الاستيعاب: ١٤٧٣/٤ - ١٤٧٥ .

(٤) ديوانه: ٦٣ .

(٥) ديوانه: ٣٢٣ .

العرش العظيم ، فقال (١):

يُرِيدُ بِذَلِكَ رِضًا أَحْمَدَ وَرِضْوَانِ ذِي الْعَرْشِ وَالْعِزَّةِ

وقريبا من هذا المعنى نجده في قصيدته التي أنشدتها يوم خيبر التي قد رسم فيها صورة المجاهدين وهم يتقدمون صفوف القتال بكل جرأة باحثين عن الشهادة في سبيل الله تعالى ، لأنها أصبحت مدحا يتمادحون به ، وفي ختامها أوضح لنا أن الشهيد الذي كان يتقدم الصفوف ويقاتل الأعداء ، إنما هو مؤمن بالغيب ، مخلصا علمه هذا الله تعالى ، لأنه يريد الفوز بجنت الخلد يوم القيامة ، فقال (٢):

يُصَدِّقُ بِالْأَنْبَاءِ بِالْغَيْبِ مُخْلِصًا يُرِيدُ بِذَلِكَ الْفَوْزَ وَالْعِزَّ فِي غَدٍ

كما وجدنا أن بعض الشعراء استغل الخاتمة ليعلن فيها إيمانه الصادق ، ونجد هذا واضحا في قصيدة حسان التي رثى بها سعد بن معاذ وغيره من شهداء المسلمين الذين تذكروهم وتذكر وفاءهم ، حتى إذا وصل إلى نهايتها أعلن أن الملك لله تعالى وحده ، وأن قضاءه تعالى إذا ما أمر به فلا بد من وقوعه ، فقال (٣):

وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَأَنْ قِضَاءَ اللَّهِ لَا بُدَّ وَإِقِيعُ

وفي بعض القصائد نجد أن خواتيمها قد سُخِّرَتْ لبيان شجاعة الشهداء الأبرار كما هو الحال عند حسان بن ثابت الذي أثبت في ختام قصيدته التي رثى بها حمزة ، شجاعته وما فعله بالمشركين ، إذ قتلهم ومزقهم يوم بدر الكبرى ، ويُسَانِدُهُ وزيره جبريل عليه السلام ، فقال (٤):

أَرَدَاهُمْ حَمَزَةً فِي أُسْرَةٍ يَمْشُونَ تَحْتَ الْحَلْقِ الذَّائِلِ

(١) ديوانه: ١٧٥ .

(٢) ديوانه: ١٦٤ .

(٣) ديوانه: ٢٦٧ .

(٤) ديوانه : ٣٢٢ .

غداة جبريل وزير لسه نعم وزير الفارس الحاميل
 أمّا خبيب بن عدي ؓ فثبت بنفسه شجاعته حين عزموا على قتله فلم يثن ذلك من
 إيمانه وعزمته بالله تعالى شيئاً ، فقال خاتماً قصيدته التي أطلقها قبل أن يودع الحياة ^(١) :
 فلست بمبدٍ للعدو تحشعاً ولا جزعاً إني إلى الله مرجعي
 وقبل قتله ؓ وهو مرفوع على الخشبة التي قتلوه عليها ، كان قد دعا عليهم
 بالهلاك ، فقال : (اللهم أحصهم عدداً واقتلهم بحدداً ، ولا تغادر منهم أحداً) ^(٢) ، فكان
 هذا الدعاء ختاماً لقصيدة حسان التي رثى بها خبيب بن عدي ، إذ أوضح في ختامها أن
 القبيلة التي غدرت به قد أحصيت وأُفنيّت ، وهو دعاء خبيب عليها فحق هذا الدعاء ولم
 يخب ، فقال حسان ^(٣) :

تلكم قبيلة حصّت وقلّلتها دعوى خبيب التي حقّت ولم تحب

والأمر نفسه نجده في قصيدة كعب بن مالك التي رد بها على ضرار بن الخطاب
 يوم الخندق الذي فخر بقتل سعد بن معاذ ، فكان من جملة ما رد به عليه أن سعداً لم
 يضره شيئاً بل هو شهيد سعيد فاز بجنان ربه الواسعة ، وفي ختامها أوضح له أنهم
 خزايا لم ينالوا شيئاً لأن الله تعالى قد هزم جميعهم بريح عاصف هبّت عليهم ، وهذا
 التهلاك الذي أصابهم هو استجابة الله لدعاء سعد الذي دعا الله تعالى أن يهلكهم ويفرق
 جميعهم ^(٤) ، فقال كعب ^(٥) :

خزايًا لم تنالوا ثم خيراً وكدثم أن تكوئوا دأمرينا
 بريح عاصف هبت عليكم فكثتم تحتها متكّمهينا

ومرّ بنا قبل قليل ونحن نتحدث عن المطلع - وقد وجدنا حينها - أن بعضهم قد
 استهل مطلع قصيدته هاجياً من قتل شهداء المسلمين ، وهذا الهجاء نجده أيضاً ختاماً

(١) السيرة النبوية: ١٨٦/٣ ، الإستيعاب: ٤٤١/٢ ، أسد الغابة: ١٢٢/٢ ، نهاية الارب: ١٣٦/١٧ ، البداية والنهاية:

٦٧/٤ ، شعر الدعوة الإسلامية في عهد السرة والخلفاء الراشدين: ٧٥ ، حياة الصحابة: ٥٤٢/١ .

(٢) السيرة النبوية: ١٨٢/٣ .

(٣) ديوانه: ٣٧٠ .

(٤) بظن: السيرة النبوية: ٢٣٨/٣ .

(٥) ديوانه: ٢١٦ .

لقصائدهم ، حتى يؤكدوا في أَسْماع المسلمين الجرمَ العظيم الذي اقترفه هؤلاء القتلَة .
ونجد هذا الهجاء نهايةً لمرثية حسان التي رثى بها خبيب بن عدي ، فبين أن ما فعله
قتلة خبيب لا يستحقُّ الفخر أبداً ، بل يستحقُّ الهجاء والتتديد ، لأنَّ عملهم غدرٌ وخيانة ،
فقال (١) :

لا تذكُرَنَّ إذا ما كُنْتَ مُفْتَحِراً أبا كُثَيْبَةَ ، قد أسرفت في الحُمُقِ
ولا عزيزاً فإنَّ الغدرَ مَنَقَصَةٌ إنَّ عزيزاً دَقِيقُ النَّفْسِ وَالْخُلُقِ

في حين نجد أن أبا محجن الثقفي في قصيدته التي رثى بها أبا عبيدة ومن معه من
شهداء المسلمين الذين استشهدوا في معركة الجسر أو الطف ، لا يختمها بهجاء قاتلي
هؤلاء الشهداء الأبرار ، بل نجاهه يهجو من لم يفرح بمرجعه سالماً من هذه المعركة بل
تمنوا قتله فيها ، فدعا عليهم أن يطردهم الله تعالى من رحمته ، لأنهم لا يعلمون ما
يعلمه الله تعالى ، لأنه تعالى له حكمة في بقاءه سالماً دون غيره . فقال (٢) :

أَلَا لَعَنَ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْرُهُمْ رَدَايَ وَمَا يَذُرُونَ مَا اللَّهُ فَاعِلُ

أما عاتكة بنت زيد بن نَظِيل فقد ختمت مرثيتها لزوجها أمير المؤمنين عمر بن
الخطاب رثي بالبكاء عليه ، فقالت (٣) :

أبكي أمير المؤمنين ودونه للزَّائِرِينَ صَفَائِحَ وَصَعِيدُ

وقسم آخر من هذه الخواتيم انتهى بالحزن دون بكاء ، فحسان بن ثابت نراه في
مرثيته التي رثى بها شهداء مؤتة يُبين لنا في ختامها أنه ما أن جاءه نَبَأُ استشهادهم بات
حزينا لا يعرف للسرور معنى ، فيقول (٤) :

قَدْ اتَّانَا مِنْ قَتْلِهِمْ مَا كَفَانَا فَبُحْزِنَ نَيْتٌ غَيْرَ سُرُورِ

(١) ديوانه: ٢١٣ .

(٢) ديوانه: ٣٤ .

(٣) معجم ديوان أشعار النساء: ١١٨ .

(٤) ديوانه: ٢٩٥ .

ومهما يكن من اختلاف في شأن هذه الخواتيم فإن هؤلاء الشهداء الأبرار يستحقون الرحمة والمغفرة والجزاء الحسن ، لذلك نجد حسان بن ثابت قد ختم قصيدته التي رثى بها حمزة بن عبد المطلب عليه السلام بالدعاء له ، وأن يجزيه الله تعالى خيراً . فقال ^(١) :

أَقُولُ وَقَدْ أَعْلَى النِّعَى بِلُكَيْهِ جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَخٍ وَكَصِيرٍ

كما أنهى قسم من شعراء المسلمين أشعارهم بالقسم (توكيداً لما ينقلون ويعلمون للناس ، ... ، وحتى لا يكون أدنى مجال للشك في نفوس السامعين) ^(٢) عما يسمعه ، فعندما استشهد سليمان بن خالد بن الوليد "رضي الله عنهما" ، رثاه صديقه عمار بن ياسر عليه السلام بأشعار أبدى فيها حزنه ، وخَلَّدَ فيها شجاعته ، وفي ختامها أقسم بالله الذي أعطاهم النصر في كل واحد أن يأخذ بثأر هذا الفارس الشهيد ، من جميع الكافرين جهراً ، ويطفئ بذلك لهيب قلبه المشتعل عليه ، فقال ^(٣) :

وَحَقٌّ مَنْ أَعْطَى لَنَا نَصْرَهُ فِي كُلِّ وَادٍ ثُمَّ فَتَحَا قَرِيبَ
لَنَا خِذْنَ الثَّأْرَ مِنْ جَمْعِهِمْ جَهْرًا وَتُطْفِئُ مِنْ فُؤَادٍ لَهَبٍ

وعندما وصل خبر استشهاده إلى أبيه سيف الله المسلول خالد بن الوليد عليه السلام قال :
(والله لأخذن فيه ألف سيد من ساداتهم ولاقطعن ساداتهم وفرسانهم وإنني أرجو أن آخذ بثأره إن شاء الله تعالى) ^(٤) ، فأنشد قصيدة بكى فيها على هذا الشبل الشجاع ، وخلد فيها بطولته ، وفي ختامها تأسف لمصرعه ، وتمنى أن يكون حاضراً مع ابنه لكان قد قتلهم وبدد جمعهم ، ثم بين لنا قسمه الذي ذكره آنفاً ، فقال ^(٥) :

فَوَا أَسْفًا لَوْ أَنَّنِي كُنْتُ حَاضِرًا بِأَيِّضَ مَاضِي الْحَدِّ فِي الْحَرْبِ مُكْتَمَلٍ
لَا قَتْلَ مِنْهُمْ فِي الْوَعَى الْفُ سَيِّدٍ وَإِذَا سَلَّمَ الرَّحْمَنُ وَاتَّسَعَ الْأَجَلُ

(١) ديوانه: ١٣٤ ، ونسب إلى صفية ، يُنظر: معجم ديوان أشعار لسان: ١٠٥ .

(٢) الشعر وإيام العرب في العصر الجاهلي: ٣٣٥ ، د. عفيف عبد الرحمن .

(٣) نوح الشام: ٢ / ٢٦٤ .

(٤) انصر نفسه: ٢ / ٢٦٦ .

(٥) انصر نفسه .

والأمر نفسه نجده أيضا عند همام بن جرير الذي رثى الشهداء الذين استشهدوا في إحدى معارك المسلمين في فتوح الشام ، إذ أقسم في ختام مرثيته أن يأخذ الثار من الأعداء بطعنة رمح ، وضربة سيف ، وقد استعمل اللام الموطئة للقسم وأكد الفعل المضارع بنون التوكيد الثقيلة ، فقال ^(١) :

لَتَأْخُذَنَّ الثَّارَ يَا قَوْمَنَا
بِطَعْنِ خُطَى وَحَدِّ الْحَسَامِ

فبالرغم من وجود هذه الخواتيم الشعرية المتنوعة في أشعارهم التي تجلّى في قسم منها أثر الاسلام ، إلا أنه وجَدَ أيضاً أن قسماً من هذه الأشعار لم تنته بمعنى يَحْسُنُ السكوت عليه ، بل بدت كأنها تحتاج إلى بقية ^(٢).

أمّا شعراء العصر الأموي فهم أيضا اهتموا بخواتيم أشعارهم التي تنوعت بتنوع ثقافتهم ، وما يبعثونه من خلال هذه الخواتيم . فقسم منها ختم بالحزن والبكاء . والأمر نفسه نجده في ختام مرثية سودة بن عبد الله السلولي التي رثى بها هُبيرة بن مُشمرج الكلابي ، إذ بين في ختامها بكاء الخيول التي يركبها ويغزو بها عليه ، وكذلك بكته الرماح التي كان يستخدمها ويطاعن بها الأعداء ، وكذلك تألمت كل النساء الفقيرات لفقده ^(٣). فقال ^(٤):

(١) فتوح الشام : ٢ / ٢٨٤ .

(٢) يُنظر: ديوان حسان: ١٧٩ .

(٣) يُنظر: الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي: ٢٢٥ .

(٤) تاريخ الطبري: ١٠١/٨ .

بَكَتْ الْجِيَادُ الصَّافِنَاتُ لِفَقْدِهِ وَبَكَاءِ كُلِّ مُثْقَفٍ عَسَالٍ
وبكته شُعْتُ لَمْ يَجِدَنَّ مُوَاسِيَا فِي الْعَالَمِ ذِي السَّنَوَاتِ وَالْإِمْحَالِ

وقريباً من معنى هذه الخاتمة نجده في نهاية مراثية الفرزدق التي رثى بها الجراح

بن عبد الله الحكمي ، حيث يقول ^(١):

فَلَوْ تَعَلَّمَ الْأَنْعَامُ شَيْئاً بِكَيْتِهِ وَكَانَ عَلَى الْجِرَاحِ تَبْكِي الْبَهَائِمِ

«وجدنا أيضاً أن قسماً من الشعراء أكدوا في خواتيم أشعارهم ما انتصف به الشهداء

من سجايا وخصال عُرفوا بها في حياتهم ، فهذا أبو الجويرية عيسى بن عصمة يُنهي

مراثيته للجنيد بن عبد الرحمن المري بتأكيد كرمه الذي مات مع موته ، فقال ^(٢):

كُنْتُمْ نُزْهَةَ الْكِرَامِ فَلَمَّا مُتَّ مَاتَ التَّدَى وَمَاتَ الْكِرَامُ

كما أثبتوا صفة الشجاعة في خواتيم أشعارهم ، فهذا الشمردل يختم مراثيته لأخويه

قدامة ووائل ، بتأكيد شجاعتهما التي شبيها بشجاعة الأسد الذي يزود عن مأواه فقال ^(٣):

كَمْ تَسْتَأْسِدِي عَرِيْسَةً لَهَا بِمَا هَمِيَّ هَابَهُ مَنْ بِالْحَزُونَةِ وَالسَّهْلِ

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٨٠٦/٨ .

(٢) تاريخ الطبري: ٢١٩/٨ .

(٣) شعراء أمويون: ق ٥٤٨/٢ .

ونجد خالد بن عقبة متأثراً بهذا المعنى وخاصة في آخر مرثيته لسعيد بن عثمان بن عفان "رضي الله عنهما" ، فيقول إن كانت الأيام قد أخذت سعيداً ، فإنه لا ينجو من أخذها أحد ، فقال ^(١) :

فإن تكن الأيام أردت صروفها سعيداً ، فهل حي من الناس سالم

أما أبو صخر الهذلي فيختتم مرثيته لابنه بعزمه على مواصلة قتال الأعداء مع المسلمين لأنه يبغى ثواب الله وجزاءه تعالى ، فقال ^(٢):

ولما أطاعن في العدو تنقلا إلى الله أبغي فضله وأضارب
وأعطف وراء المسلمين بشدة على دبر مجل من العيش ذاهب

هذا أهم ما وجد من خواتيم لإشعار شعراء هذا العصر فيما يتعلق بخصوص موضوع البحث وهي - أي الخواتيم - كما قلنا قد تنوعت ، وهذا التنوع كان من قبل الشعراء وقصدهم من وراء هذه الخواتيم وما يرمون إليه . فقسم منهم كما مر بنا أراد إثارة الحزن ، وقسم آخر إعلام السامعين بحكمة تذكرهم بمصيرهم المحتوم ، وآخر وثق سجايا الشهداء وما اتصفوا به .

(١) تاريخ ابن عساکر: ١٥٦/٦ ، وينظر: شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي: ٢٣٠ .

(٢) شرح أشعار الهذليين: ٩٢٣/٢ .

المبحث الثاني المعجم الشعري الإسلامي

عرف العرب الشعر منذ القدم ، فبرعوا في نظمه ، وفي إلقائه ، وفي حفظه وروايته ، فكان لكل قبيلة شاعر يمدح رجالها ، ويهجو أعداءها ، فكان الوسيلة الإعلامية في ذلك العصر ، وعندما جاء الإسلام وظف هذا الفن لخدمته ، به دافع الشعراء المسلمون عن الإسلام والمسلمين ، وبه نشروا تعاليم الدين العظيم ، وهذا الفن وهذا السلاح (الشعر) متعدد الأغراض ، ولكل غرض منه ما يلائمه من الألفاظ التي تكون ذات (صلة وثيقة بالحالة الشعورية التي تنتاب الشاعر أثناء نظمه للقصيدة)^(١) ، (فإذا أراد الشاعر بقاء القصيدة مَحْضَ المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً ، وأعد له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه)^(٢) . فكل معنى لفظ يليق به^(٣) ، تنهض موسيقاه لمحاكاة المعنى الذي ترمي إليه النفس^(٤) ، فالشاعر يختار لمعانيه ألفاظاً حسنة لأن المعاني متداولة بين الناس^(٥) .

فالشعر الذي وصف لنا حب المجاهدين لطعم الشهادة والسعي للفوز بها ، وشجاعاتهم في مواجهة أعدائهم ، والمنزلة التي نالوها عند الله تعالى عندما أسكنهم فسيح جناته الواسعة ، والذكر الحسن الذي نالوه على ألسن الشعراء المسلمين الذين خلدوهم بأحسن الأشعار ، هو شعر ملتزم بمنهج الدعوة الإسلامية ، واكب حروبها وفتوحاتها وهو يؤدي دوره باحسن الألفاظ الموحية بالمعنى المراد ، وليس غريباً أن يبدع الشعراء في هذا المجال بعد أن تأثر هؤلاء الشعراء ببلاغة القرآن الكريم ، وفصاحته ، ووضوح

(١) شعر العقيدة: ٣١٦ .

(٢) عيار الشعر: ٥ .

(٣) بظر: دلالة الالفاظ: ٦٢ ، ابراهيم أنيس .

(٤) بظر: الشعر والشعراء. ٤٦/١ - ٤٧ ، والخصائص: ٢١٥/١ وما بعدها ، لابي الفتح عثمان بن جني ، تحقيق ، محمد علي السحار .

(٥) بظر: دور الكلمة في اللغة: ٦٠ ، ترجمة د. كمال محمد بشر ، واللغة والفكر: ١٤٦ و ١٥٢ ، د. نوري جعفر ، الرمس

عند الشعراء العرب قبل الإسلام : ٢٧٩ د. عبد الإله الصائغ .

طريقته ، وسهولة ألفاظه ^(١) ، فكان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف رافدين مهمين أثريا ثقافة الشاعر الإسلامي بكثير من الألفاظ والمصطلحات الإسلامية التي اكتسبت معاني جديدة غير التي كانت سائدة في كلام العرب قبل الإسلام ^(٢) ، فالعرب كانت في (جاهليتها على إرث من إرث آبائهم ، في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم . فلما جاء الله "جل ثناؤه" بالإسلام حالت أحوال ، ونسخت ديانات ، وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع أخر بزيادات زِيدت ، وشرائع شرعت ، وشرائط شرطت ، فغنى الآخر الأول) ^(٣) ، فمن الألفاظ التي وردت بمعناها الجديد فسي أشعار شعراء الإسلام الشهادة والشهيد ، فكما تبين سابقاً فإن العرب قبل الإسلام ما عرفوا الشهيد إلا بمعناه اللغوي الذي يدور حول الحضور أو العلم أو الشهادة ، أما في الإسلام فإن الشهادة أصبحت هم المجاهد المسلم وغايته في حياته الدنيا ، يستهين بالموت ويراه مدحاً إن أصاب الشهادة ، قال كعب ^(٤):

يَرَى الْقَتْلَ مَدْحًا إِنْ أَصَابَ شَهَادَةً مِنْ اللَّهِ يَرْجُوهاَ وَفَوْزًا بِأَحْمَدٍ

فإذا ما سقط شهيداً وفاز بيا تسابق شعراء المسلمين إلى تأكيد شهادته وتوثيقها في سجل الشهداء ، فمن ذلك رثاء الإمام علي عليه السلام لحمزة بن عبد المطلب عليه السلام ، وهو يؤدي دوره في الرد على هند بنت عتبة ، قال ^(٥):

إِنْ تَفَخَّرَ بِحَمْزَةٍ حِينَ وَلَّى مَعَ الشَّهَدَاءِ مُحْتَسِبًا شَهِيدًا

فكانت شهادة الأبناء مفخرة الآباء لأنها منزلة عظيمة لهم يوم القيامة ، فهذا أحد المسلمين استشهد ابنه في فتوحات المسلمين الخارجية ، فلما بلغه خبرهما فرح بذلك ،

(١) ينظر: في الشعر الإسلامي والاموي: ٢٨ .

(٢) ينظر: المرهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢٩٤/١ - ٢٩٥ ، للسيوطي ، تحقيق محمد احمد حاد المولى ، علي محمد البحايي ، محمد امير الفضل ابراهيم ، وينظر: رثاء شهداء مؤنة في الشعر الإسلامي: ٤٧ ، د. رشدي علي حسن .

(٣) الصاحي في فقه اللغة ولس العرب في كلامنا: ٧٨ ، تحقيق مصطفى الشويبي .

(٤) ديوان كعب بن مالك: ١٦٤ ، وينظر: مثله ديوان حسان: ١٣٣ .

(٥) ديوانه: ٧١ ، وينظر: مثله فتوح الشام: ٢٨٤/٢ ، وديوان حسان: ٩٨ و ٢١٣ و ٣٢١ و ٤١٢ و ٤١٥ .

لأن شهادتهما شرفاً لهما وله يوم القيامة ، فقال ^(١) :
 خَلِيلِي وَابْنِي الَّذِينَ تَتَابَعَا شَهِيدَيْنِ كَانَا عِصْمَتِي وَرَجَايَا
 وَمَنْ يُعْطِهِ اللَّهُ الشَّهَادَةَ يُعْطِهِ بِهَا شَرْفًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلِيًّا

كما وردت في أشعارهم ألفاظ الثواب والعقاب مؤكدين بها صدق منهجهم الذي يقاتلون ويقتلون من أجله وأنهم على حق ، وأعداءهم في ضلال مبين ، فأكثرُوا من ذكر الجنة ، فهي منزلة الشهداء ، ودارهم التي أسكنهم الله تعالى فيها ، لأنه تعالى وعدهم بها ، فوصفوها ووصفوا نعيمها الذي فيها ، فهي جنة عالية ^(٢) ، خالدون فيها ^(٣) ، مع الحور العين ^(٤) ، والنعيم المقيم ^(٥) ، وهي أمل المجاهدين الذين يقاتلون من أجلها ، وألسنتهم تتعطر بذكرها وذكر نعيمها ^(٦) . فهذه الجنان هي حق الشهداء الذين سيدخلونها بإذن الله تعالى فرحين بها ^(٧) ، أما قتلى الكافرين فإن مصيرهم إلى نار جهنم ثاوين فيها ^(٨) ، حيث العذاب المخلد ، جزاء منه تعالى للكافرين لأنهم صدوا عن دين الإسلام .

كذلك فإن شعراء المسلمين أكثرُوا من ذكر لفظ الجلالة (الله) "تبارك وتعالى" فهو خالق الكون ومدير الأمور ، بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، فأثبتوا هذه القدرة وهذه الملكية له "تبارك وتعالى" وهم يذكرون اسمه العظيم ، فالإله نسبوا كل

(١) النعازي والمراثي: ٢٤١ - النعازي: ١٨/١ - ١٩ .

(٢) يظر: السيرة النبوية: ٢٥/٣ ، والروض الآنف: ٥/٣٣٠ ، والبناء والنهاية: ٣/٣٣٧ ، وشعراء الرسول: ٢٦٣ ، وديوان حسان: ٣٢١ .

(٣) يظر: ديوان حسان: ٢١٣ - ٣٣٨ - ٤١٥ ، ويظر: ديوان كعب مالك: ١٦١ .

(٤) يظر: السيرة النبوية: ٢٥/٣ ، والروض الآنف: ٥/٣٣٠ ، والبناء والنهاية: ٣/٣٣٧ ، وشعراء الرسول: ٢٦٣ ، وديوان حسان: ٢١٣ .

(٥) يظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٩٨ ، وديوان حسان: ٩٨ ، وديوان كعب بن مالك: ١٥٧ - ١٥٨ .

(٦) يظر: فتوح الشام: ١٥٧/١ - ١٨٨ - ١٩٤ - ٢٦٩ ، ٢٤/٢ - ١٤٦ - ٢٢٥ ، ولكامل في التاريخ: ٢/٢٣٦ ، ونهاية الأرب: ١٧/٢٨٠ ، وسر أعلام النبلاء: ١/٢١٠ ، وتاريخ الإسلام (المعاري): ٤٨٣ ، والبناء والنهاية: ٤/٢٤٤ ، وحياة الصحابة: ١/٥٥١ .

(٧) يظر: ديوان كعب بن مالك: ١٥٨ - ٢٠١ - ٢١٦ ، ومعجم ديوان أشعار الساء: ١٠٥ .

(٨) يظر: ديوان الإمام علي: ٦٣ ، وديوان كعب بن مالك: ١٥٨ - ١٦١ .

شيء ، فهو الذي يقضي ويحكم ويأمر ، وفي سبيله قَاتَلُوا وَقُتِلُوا ، فقالوا: الملك لله وحده (١) ، حكم الله (٢) ، قضاء الله (٣) ، لأمر الله ، إلى الله ، في الله (٤) ، مع الله ، ثوى الله (٥) ، في طاعة الله (٦) ، ويعز الله (٧) ، وئمة الله (٨) ، إن الله (٩) ، فله عين (١٠) ، يد الله (١١) ، الله أكبر (١٢) ، ذات الإله (١٣) ، عصم الإله (١٤) ، إله العرش (١٥) ، ذو العرش (١٦) ، كما ورد في أشعارهم بعض أسماء الله الحسنى ، منها الرحمن (١٧) ، كذلك أثبت شعراء المسلمين في أشعارهم رسالة المصطفى ﷺ وأنه رسول الله ونبيه ، وأثبتوا ذلك بألفاظ كثيرة منها إمام رسول الله (١٨) ، قال رسول

- (١) ينظر: ديوان حسان: ٢٦٧ .
- (٢) ينظر: فتوح الشام: ٢٦٦/٢ ، وديوان حسان: ٤١٥ .
- (٣) ينظر: ديوان حسان: ٢٦٧ - ٤١٥ .
- (٤) ينظر: السيرة النبوية: ١٨٥/٣ - ١٨٦ ، والإستيعاب: ٤٤١/٢ ، أسد الغاية: ١٢٢/٢ ، وينظر: نهاية الأرب: ١٣٦/١٧ ، والبدية والنهاية: ٦٧/٤ ، وديوان حسان: ٢٦٧ و ٤١٥ .
- (٥) ينظر: ديوان حسان: ٣٣٧ .
- (٦) ينظر: السيرة النبوية: ١٧٧/٣ ، والروض الأنف: ١٣١/٦ ، وعيون الأثر: ٤٩/١ ، والبدية والنهاية: ٦٠/٤ ، وديوان حسان: ٢٦٧ .
- (٧) ينظر: ديوان حسان: ٣٣٧ .
- (٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢٠ .
- (٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٧٢ .
- (١٠) ينظر: معجم ديوان أشعار النساء: ١١٨ .
- (١١) ينظر: ديوان حسان: ٣٢١ ، وديوان الشماخ بن ضرار: ٤٤٨ .
- (١٢) ينظر: ديوان حسان: ٩٦ .
- (١٣) ينظر: السيرة النبوية: ١٨٥/٣ ، والإستيعاب: ٤٤١/٢ ، وأسد الغاية: ١٢٢/٢ ، ونهاية الأرب: ١٣٦/١٧ ، والبدية والنهاية: ٦٧/٤ .
- (١٤) ينظر: ديوان كعب بن مالك: ٢٠٦ .
- (١٥) ينظر: فتوح الشام: ٢٦٨/١ .
- (١٦) ينظر: معجم ديوان أشعار النساء: ١٠٥ .
- (١٧) ينظر: السيرة النبوية: ٢٥/٣ ، ديوان حسان: ٤١٥ ، وينظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٨٨ ، وفتوح الشام: ٢٦٧/٢ و ٣٠١ .
- (١٨) ينظر: ديوان حسان: ٣٣٧ .

الله ^(١) ، أرسل أحمد ^(٢) ، نصر النبي المرسل ^(٣) ، النبي محمد ، نبي الهدى المبعوث ^(٤) ، نبياً كريماً ^(٥) ، نصروا النبي ^(٦) ، ديسن المصطفى العدنان ^(٧) ، كما أوردوا في أشعارهم ألفاظ الإسلام والمسلمين ^(٨) ، إقراراً منهم بأنه خير دين ارتضاه الله لهم ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ ^(٩) ، ومنظماً أثرت العقيدة الصحيحة في أفعالهم ، فرأيانهم يجاهدون الأعداء ويقتحمون البلاد لا حباً في مغنم أو مكسب ، بل حباً في الشهادة والفوز برضا الله تعالى ، فقد كان لها تأثيرها في أشعارهم التي أنشدوها وهم يقاتلون الأعداء ، وأنشدوها وهم يرون شهداء المسلمين ، مؤكدين بها صدق هذه العقيدة التي استقرت في عقيدتهم وجعلتهم يصدعون في أشعارهم بالفاظ العقيدة بين الحق والباطل ، وبين الإيمان والكفر ، والتوحيد والشرك ، فهذا عاصم بن ثابت مؤمن مجاهد اختار الموت في سبيل الله تعالى على الحياة في جوار المشركين ، وهذا الاختيار جاء من أثر العقيدة التي لا تقبل المساومة ، بل يكون صاحبها حاسماً شجاعاً ، فاختار الحق (الموت) وترك ونبذ الباطل (الحياة) ، فقال ^(١٠) :

تَرَلُّ عَنْ صَفْحَتِهَا الْمَعَابِلُ الْمَوْتُ حَقٌّ وَالْحَيَاةُ بَاطِلٌ

ومن ألفاظ العقيدة الأخرى التي أوردتها الشعراء المسلمون في أشعارهم التي أثبتوا فيها صحة منهجهم وبطلان منهج أعدائهم ، ألفاظ المؤمنين ^(١١) ، ومؤمن ^(١٢) وإيماناً . أما ما

(١) يُصَر: ديوان كعب بن مالك: ١٨٢ ، ووردت عادة (رسول الله) أيضاً في أشعارهم ، يُنظر: ديوان حسان: ٥١٣ ، وديوان عبد الله بن رواحة: ٩٨ .

(٢) يُصَر: فتوح الشام: ٢٤٤/٢ .

(٣) يُصَر: ديوان كعب بن مالك: ٢٠٦ .

(٤) يُنظر: فتوح الشام: ٢٥٢/٢ .

(٥) يُنظر: المصنوع نفسه .

(٦) يُنظر: ديوان كعب بن مالك: ١٦٠ و ٢٠٦ .

(٧) يُصَر: فتوح الشام: ٢٢٦/٢ .

(٨) يُنظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٩٨ ، وديوان حسان: ٩٨ و ١٣٤ و ٣٢١ ، وديوان كعب بن مالك: ٢٠٥ .

(٩) سورة آل عمران: الآية ١٩ .

(١٠) تسمية السوية: ١٧٩/٣ ، الروض الألف: ١٦٤/٦ ، البداية والنهاية: ٦٤/٤ ، حياة الصحابة: ٥٣٨/١ .

(١١) يُنظر: ديوان حسان: ٩٨ ، وديوان كعب بن مالك: ١٦١ .

(١٢) يُنظر: السيرة السوية: ١٧٩/٣ ، والروض الألف: ١٦٤/٦ ، البداية والنهاية: ٦٤/٤ .

يخص أعداءهم فإن شعراء المسلمين نعتوهم كما وصفهم الله تعالى بالكفر والطغيان^(١) ، وكافر ناقص الإيمان^(٢) ، فأصحاب المصطفى ﷺ كانوا موحدين الله تعالى في عبادتهم له ، لا يشركون به شيئاً لأن الشرك بالله تعالى أمر عظيم وذنب كبير يحبط الاعمال ، قرب العزة والجلال يُخاطب رسوله الكريم ﷺ كما خاطب الرسل والانبياء من قبله أنه إن أشرك سوف يُحبط عمله ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣) ، وحاشاه ﷺ من الشرك ، بل كان أخلص الناس عبادة لله تعالى ، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، فسار الصحابة الكرام على نهجه القويم في توحيد الله تعالى.

أمّا أعداء الإسلام الكافرين فقد كانوا مشركين بالله تعالى يعبدون ما لا ينفعهم ولا يضرهم شيئاً ، كما ورد لفظ القرآن الكريم والألفاظ أخرى عبرت عنه في أشعارهم ، فمما ورد من هذه الألفاظ ، ما نجده في رثاء حفصة بنت عمر بن الخطاب "رضي الله عنهما" إذ صبرت وتعزت بالقران الكريم فقالت^(٤) :

أَكْظِمُ الْغُلَّةَ الْمَخَالِطَةَ الْقَلْبَ وَأَعَزِّي فِي الْقُرْآنِ عِزَائِي

ومن الألفاظ الأخرى التي عبرت عن مصطلح القران الكريم لفظ الكتاب فقد أصبح (اسم علم للقران الكريم سواء قرُن بلفظ الجلالة أو استعمل وحده)^(٥) ، فهو الكتاب المطهر في رثاء حسان لشهداء مؤتة^(٦) :

هُمُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ أَنْزَلَ حُكْمَهُ عَلَيْهِمْ وَفِيهِمُ الْكِتَابُ الْمُطَهَّرُ

(١) يُنظر: فروع الشام: ٢٢٦/٢ .

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٢٣/٢ ، ويُنظر: معجم ديوان أشعار النساء: ١٠٥ .

(٣) سورة الزمر: الآية ٦٥ .

(٤) معجم ديوان أشعار النساء: ٨١ .

(٥) أثر القرآن في الأدب العربي في القرن الأول الفجري: ١٩ ، د. ابتسام مرهون الصغار .

(٦) ديوانه: ٩٨ .

وهو الكتاب المنزل في شعر كعب بن مالك ^(١):

قَوْمٌ بِهِمْ عَصَمَ الْإِلَهَ عِبَادَهُ وَعَلَيْهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ

ومثلما آمنوا بكتاب الله العظيم وذكروه في أشعارهم ، آمنوا بالملائكة وذكروها في أشعارهم ، فهي الملائكة الأبرار في شعر حسان بن ثابت وهو يرثي خبيب بن عدي ، فقال ^(٢):

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ حِينَ الْمَلَائِكَةُ الْأَبْرَارُ فِي الْأَفُقِ

ومن هؤلاء الملائكة الأبرار الذين كان لهم ذكر في شعرهم ، جبريل عليه السلام ، فهو وزير حمزة بن عبد المطلب في رثاء حسان له ، فقال ^(٣):

غَدَاةَ جِبْرِيلَ وَزِيرَ لَهُ نَعَمَ وَزِيرَ الْفَارِسِ الْحَامِلِ

ومن الألفاظ التي لها صلة بعبادة المسلمين ، والتي وقع ذكرها في أشعارهم ، الصدقة والصلاة ، فالشهيد المجاهد عامر بن الأكوع عندما كان في ركب جيش المصطفى صلى الله عليه وسلم نحو غزوة خيبر ، (أراد المصطفى أن يبعث النشاط في موكب الجيش الزاحف عن طريق الكلمة الطيبة المشجعة ، فقال لعامر أَلَا تَسْمَعُنَا مِنْ هَيْسَاتِكَ) ^(٤) ، فسارع الجندي الفدائي المطيع وأخذ يُنشد هذا النشيد الجهادي الذي ذكر فيه فضل الله تعالى وهدايته لجم ، الذي لولاه ما تصدقوا ولا صلوا ^(٥) ، فقال ^(٦) :

وَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

(١) ديوانه: ٢٠٦ .

(٢) ديوانه: ٢١٣ .

(٣) المصدر نفسه: ٣٢٢ .

(٤) الشهيد المجاهد عامر بن الأكوع (ت: ٧٢٠ هـ ، د: أحمد الشرياصي .

(٥) يُنظر: الشهيد المجاهد عامر: ٧٢ .

(٦) نسمة النبوة: ٣٤٢ ، ويُنظر: الروض اللمع: ٥٠٠/٦ ، ويُنظر: انظم: ٨١٥/٢ ، وهداية الأرب: ٢٤٩/١٧ ،

وعيون الأثر: ١٦٩/٢ ، والبنية والنهاية: ١٨٢/٤ .

وكذلك ورد مصطلح الشفاعة^(١) ، كما أوجد الإسلام ألفاظاً حضارية جديدة تخص شؤون الدولة الإسلامية . فالعرب قبل الإسلام كان يحكمهم نظام القبيلة ، فكان هناك الزعيم أو الرئيس ، أمّا في الإسلام فقد أصبح الإسلام هو الحاكم ، والمسؤول عن أمر المسلمين هو أمير المؤمنين كالذي نجده في شعر عاتكة بنت زيد القرشية وهي تبكي زوجها عمر بن الخطاب "رضي الله عنهما" ، فقالت^(٢) :

أُبْكِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدَوْنُسِهِ لِلرَّائِرِينَ صَفَائِحَ وَصَعِيدُ

ومما تقدم يلاحظ أن هذه الأشعار قد أودعت في معجم من الألفاظ القرآنية والإسلامية الجديدة - معنى وجديدة لفظاً ومعنى - التي وجد فيها الشعراء معينهم الثرى في نظم أشعارهم التي تتعلق بالشهادة والشهيد .

أمّا في العصر الأموي فقد شاعت هذه الألفاظ في أشعارهم حتى شكلت هذه الألفاظ (معجماً قرآنياً من جهة تأثرها بألفاظ القرآن الكريم ، ومعجماً إسلامياً أخذ من مصطلحات الإسلام وإطلاقاته ، إلى جانب عوالم أخرى من التحضر والمدنية والهجرة مما جعلهم يميلون إلى ترك بدو الألفاظ وغريب الاستعمال)^(٣) ، فلمّا ضرب الإسلام بجرائمه ، واتسعت ممالك العرب ، وكثرت الحواضر ، ونزعت البوادي إلى القرى ، وفشا التأدب والتظرف اختار الناس من الكلام ألينه وأسهله وعمدوا إلى كل شيء ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعاً ، وألفها من القلب موقعاً ، وإلى ما للعرب فيه لغات فاقصروا على أسلسها وأمرفها^(٤) .

فمن هذه الألفاظ ، لفظ الجلالة تبارك وتعالى الذي تردّد في أشعارهم ، فهذا سليمان بن قتّة يرثي القائد أسد بن عبد الله ويدعو الله تعالى أن يُنزل الغيث على الأرض التي حل

(١) يُطَر: ديوان حماد. ٢٦٧ .

(٢) معجم ديوان أشعار النساء: ١١٨ .

(٣) الصورة الأدبية في الشعر الأموي: ٣١٦ ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب - بغداد ، محمد حسين علي الصغير ١٩٧٥ .

(٤) الرسالة بين المتنبّي وحصونه: ١٨ للفناني الجرجاني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجاوي .

فيها قبر أسد ، فقال (١) :

سَقَى اللَّهُ بَلْخًا سَهْلًا بَلْخَ وَحَزْنَهَا وَمَرَّوَى خُرَّاسَانَ السَّحَابِ الْمُجَمَّمَا

أما أبو صخر الهذلي فنراه في رثائه لأبنه داود مؤمناً بأن قدر الله واجب ،

فقال (٢) :

فَيَعْدُوُ الْفَتَى وَالْمَوْتُ تَحْتَ رِدَائِهِ وَلَا بُدَّ مِنْ قَدَرٍ مِنَ اللَّهِ وَاجِبٍ

وقال (٣) :

وَلَوْلَا يَقِينُ أَلَمَّا الْمَوْتُ عَزَمَ مَنَ اللَّهِ حَتَّى يُعْتُوا لِلْمَحَاسِبِ

وهذا الشمر دل اليربوعي يبلغه نبأ استشهاد أخيه وائل فيصبر ويشكو فقده إلى الله

تعالى لا إلى الناس ، فقال (٤) :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ فَقْدُهُ وَلَوْعَةً حُزْنٍ أَوْجَعَ الْقَلْبَ دَاخِلُهُ

ويتمنى أعشى همدان وهو أحد المجاهدين المشاركين في فتح سمرقند أن يُقتل في

سبيل الله تعالى ويلقاه وقد خضبته الدماء ، فقال (٥) :

تَحْضُرُ الطَّيْرُ مَضْرَعِي وَتَرَوْحْتُ إِلَى اللَّهِ بِالذَّمِّ أَسَاءَ خَضِييَا

وهذا أبو صخر الهذلي يقول إنني أجاهد الأعداء في سبيل الله تعالى ، وإليه تعالى

أبغى فضل هذا الجياد ، فيقول (٦) :

وَلَمَّا أَطَاعِنَ فِي الْعَدُوِّ تَنَقَّلَا إِلَى اللَّهِ أَبْغَى فَضْلَهُ وَأُضَارِبِ

(١) تزيح الطيري: ٢٤٩/٨ ، الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي: ٢٢٧ .

(٢) شرح أشعار اهذليين: ٩١٨/٢ .

(٣) المصدر نفسه : ٩١٩/٢ .

(٤) شعراء أمويون: ٥٤١/٢ .

(٥) شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي: ٨١ ، الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي: ١٥٦ .

(٦) شرح أشعار اهذليين: ٩٢٣/٢ .

وهذا الفرزدق يبين لنا أن القائد المجاهد الجراح بن عبد الله الحكمي قد انتقل إلى رحمة الله تعالى فقال (١) :

لَقَدْ صَبَرَ الْجَرَّاحُ حَتَّى مَشَتْ بِهِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ السُّيُوفُ الصَّوَارِمُ

كما وردت في شعرهم لفظة الرحمن وهي من أسماء الله تعالى الحسنی ، ونجد هذا الاسم العظيم في شعر أبي صخر الهذلي الذي رثى به ابنه داود ، فقال (٢) :

وَتَهْدِي رَوَايَا نَبِيهِ وَسِجَالِهِ لِدَاوُودَ وَالرَّحْمَنُ جَمُّ الْمَوَاهِبِ

وقد وردت في أشعارهم أيضا مصطلحات إسلامية جديدة مستوحاة من القرآن الكريم مثل (محصى السرائر عالم) ، الذي ورد في شعر الفرزدق الذي رثى به القائد الشجاع الجراح بن عبد الله ، فقال (٣) :

جُزُوا بِالسَّرِيرَاتِ الَّتِي فِي قُلُوبِهِمْ جَزَاهُمْ بِهَا مُحْصَى السَّرَائِرِ عَالِمُ

ومحصى السرائر هو رب العزة والجلال .

ووردت في أشعارهم أيضا ألفاظ الرسالة ، والإسلام والمسلمين ، والدين ، والنبی واسم المصطفى محمد ﷺ ، فلفظ الرسالة نجده في شعر الشمرذل الذي رثى به أخاه وائلا ، فقال (٤) :

تَحِيَّةٌ مَنْ أَدَّى الرِّسَالَةَ حَيَّتْ إِلَيْنَا وَلَمْ تَرْجِعْ بِشَيْءٍ رَسَائِلُهُ

أما لفظة المسلمين فقد وردت في آخر بيت من قصيدة أبي صخر الهذلي في رثاء ابنه داود فقال (٥) :

وَأَعْطِفْ وَرَاءَ الْمُسْلِمِينَ بِشِدَّةٍ عَلَى دُبُرٍ مُجَلٍّ مِنَ الْعَيْشِ ذَاهِبٍ

ونجد لفظة الإسلام في شعر الفرزدق الذي وصف به أثر قومه في الجهاد لاجل إعلاء كلمة لا اله إلا الله ، وطريق الجهاد هو طريق الشهادة الذي فضلوه وتمسكوا به في

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٨٠٦/٢ .

(٢) شرح أشعار الهذليين: ٩٢٣/٢ .

(٣) شرح ديوان الفرزدق: ٨٠٦/٢ .

(٤) شعراء أمويون: ٥٤٢/٢ .

(٥) شرح أشعار الهذليين: ٩٢٣/٢ .

كل مكان فقال (١) :

رَجَالٌ عَنِ الْإِسْلَامِ إِذْ جَاءَ جَالِدُوا ذَوِي النِّكَثِ حَتَّى أَوْدَحُوا بِهَوَانِ

أما لفظة النبي فنجدها في شعر الفرزدق أيضا ، الذي رثى به القائد المجاهد الشهيد الجراح بن عبد الله الحكمي ، إذ أكد الفرزدق أن هذا القائد هو رفيق النبي ﷺ في جنات النعيم ، فقال (٢) :

رَفِيقُ نَبِيِّ اللَّهِ فِي الْعُرْفَةِ الَّتِي إِلَيْهَا أُنْتَهَى مِنْ عَيْشِهِ كُلُّ نَاعِمٍ

كذلك أورد الفرزدق اسم المصطفى محمد ﷺ في نفس الغرض وب نفس هذا المعنى فقال (٣) :

إِلَى الْعُرْفَةِ الْعُلْيَا رَفِيقُ مُحَمَّدٍ مُقِيمًا وَلَا مِنْهَا هُوَ الدَّهْرُ رَائِمٌ

كما تغنى الشعراء المسلمون وغيرهم ممن لم يتخصص بقول الشعر - وإنما أنشد شعره لهدف معين ولغرض معين - بجنان النعيم التي أصبح الفوز بها مناهم وغايتهم من جهادهم الأعداء .

هذا أهم ما وجد من ألفاظ المعجم الشعري الإسلامي عند شعراء هذا العصر فيما يخص موضوع الدراسة ، وعندما تقدم يمكن القول إنه يوجد تشابه كبير بين ألفاظ صدر الإسلام والعصر الأموي ، في حين كان بينهما اختلاف يسير فالفظة المعجم القرآني

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٨٧٩/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٨٧٩/٢ .

(٣) المصدر نفسه: ٨٠٦ / ٢ .

والإسلامي كانت بجملتها أكثر تواجداً عند شعراء صدر الإسلام منها عند شعراء العصر الأموي ، وهذا لا يعني عدم اهتمام شعراء العصر الأموي بهذه الألفاظ ، بل اهتموا بها واكثروا من تضمينها أشعارهم^(١) . لكن هذا الفرق القليل يعود سببه إلى أن قسماً من الألفاظ والمصطلحات الإسلامية اقتضى وجودها في شعر صدر الإسلام موقف معين ، منها مثلاً لفظاً (أمير المؤمنين والإمام) فهاتان اللفظتان قد أكثر شعراء صدر الإسلام من إيرادهما في شعرهم ، وسبب ذلك أن بعضاً من شهداء صدر الإسلام كانوا هم أمراء المسلمين وقادة الدولة الإسلامية ، وهو (عمر بن الخطاب) فمصطلح أمير المؤمنين أو الإمام هو لقب هذا الخليفة ، فعندما استشهد أكثر الشعراء من ذكر هذا اللقب في شعرهم الذي رثوه به ، وقرنوا به شجاعته وكرمه وتقواه ، وكل سجية عرف بها هذا الخليفة . أما العصر الأموي فإن شهداء قسماً : قسم يضم قادة الجيوش الإسلامية ، وهم قليل ، ولا يقصد بكلمة قليل قلة هؤلاء القادة البواسل ، بل يقصد بها قلة ما وصل إلينا من شعر رثي به قادة هذا العصر ، أما القسم الآخر فيضم عامة المسلمين الذين كانوا جنوداً تحت لواء هؤلاء القادة ، وكلا القسمين لا يستحق أي منها لقب (أمير المؤمنين أو لقب الإمام) فالفرق واضح .

كذلك الأمر بالنسبة للفظ (الشهيد) التي لم يكن لها وجود في شعر هذا العصر فيما يخص موضوع الدراسة ، وهذا الفرق يعود سببه إلى أن هذه اللفظة كانت جديدة بمعناها عند شعراء صدر الإسلام الذين أكثروا من ذكرها في أشعارهم في حق كل مسلم شهيد ، حتى يؤكدوا بها لأعدائهم المشركين أن قتلاهم شهداء قد نالوا الجنة ، أما قتلى الكافرين فمصيرهم إلى جهنم خالدين فيها ، في حين أن الأمور في العصر الأموي قد تغيرت ، إذ استقرت الدولة الإسلامية وتوسعت حدودها ، وقوي نفوذها ، فأصبح أعداؤهم خارج حدود دولتهم الكبيرة ، وهذا العدو البعيد (الروم وغيرهم) هو خلاف أعداء المسلمين في صدر الإسلام إذ كانوا من العرب المشركين ، فمن يقتل من جنود المسلمين في العصر الأموي فهو شهيد حتى وإن لم يذكر لفظ الشهيد .

(١) نكت الدكتورة اتسام مرهون الصفار في كتابها (أثر القرآن في الأدب العربي) أن شعراء العصر الأموي قد أكثروا من

استعمال الألفاظ الإسلامية في أشعارهم ، ينظر : كتابها ١٧ - ١٣٤ وكذلك الأمر نفسه أشته الأستاذ د. سامي مكسي

لعالي في كتابه : الإسلام والشعر ، ينظر : كتابه : ٢٦٦ - ٢٨٣ .

والتعليق نفسه ينطبق على ألفاظ أخرى مثل الإسلام ، والمسلمين ، والنبي ،
والصلاة ، والصيام ، والملائكة ، وجبريل عليه السلام ، فهذه الألفاظ كانت اقرب ما
تكون سلاح شعراء صدر الإسلام ضد خصومهم المشركين ، فعندما يذكرون هذه الألفاظ
في أشعارهم سوف يتبين لاعدائهم المشركين أنَّ هذه الألفاظ قد جاء بها الدين الجديد فهي
جزء منه ، أما في العصر الأموي فإنَّ دولة الإسلام أصبحت لها القوة العظمى وأصبح
أعداؤهم المستضعفين ، فلا حاجة أن يذكروا هذه الألفاظ في أشعارهم ، لكن في الوقت
نفسه كانت لها حاجة ماسة ومهمة في اتجاهات الشعر الأخرى ، ومنها شعر الزهد
والإصلاح .

المبحث الثالث الأساليب

إن لغات العالم الكثيرة والمختلفة فيما بينها ، ما هي إلا تراكيب تكونت من اجتماع كلمات معينة ، وهذه الكلمات تشكلت من ضم الحروف بعضها الى بعض ، فاللغة هي مزيج ذلك كله ، وهذه التراكيب تختلف من لغة الى أخرى ، فكل لغة لها قوانينها ومرونتها ، كذلك فإن هذه التراكيب تختلف باختلاف مستخدمي هذه اللغة ، فكل شخص يستخدم منها ما يراه مناسباً ، فاللغة العربية هي واحدة من أهم اللغات في العالم ، فما تمتلكه هذه اللغة من عدد حروفها هو كافٍ لكل شاعر وأديب في أن يكون الجمل التي يراها مناسبة للتعبير عن المعنى أو الفكرة التي يريد أن يفصح عنها ، فاللغة هي إذاً ثوب الفكرة ^(١) ، لكن هذا المعنى أو هذه الفكرة لابد لهما من طريقة معينة يضمن بها الشاعر أو الأديب أن معناه أو فكرته سوف تصل المستمع أو القارئ ، فكان (الأسلوب هو فصال الثوب وطراره الخاص) ^(٢) ، فالأسلوب هو الوسيلة أو الطريقة التي يستخدمها الشاعر أو الأديب في إيصال أفكاره إلى المستمع بعبارة لغوية ^(٣) .

فالشاعر العربي هو أعلم الناس بهذه اللغة ، فقد خبر أساليبها ، وعرف مكان الجودة فيها ، وهذه الخبرة ، وهذه المعرفة ازدادت عندما أشرق فجر الإسلام بنور القرآن الكريم ، الذي وجد فيه شعراء المسلمين خير معين ، فأخذوا من أساليبه ومعانيه ما يكفيهم لخدمة الدعوة الإسلامية بأشعارهم ، فأصبحت ليم أساليبهم الخاصة التي ضمنوها أشعارهم ، فكان أثر الإسلام في قسم كبير منها على ما سنرى ، أمّا القسم الآخر من أساليبهم فقد اقتضته طبيعته القضية التي يُعالجونها والأهداف التي ترمي إليها هذه المعالجة .

فمن هذه الأساليب التي لا نقول إنها جديدة في ذاتها ، وإنما جديدة في معناها وما تهدف إليه ، الدعاء فكان (من الأساليب ذات العناصر الإسلامية الجديدة ، فقد تفنن

(١) يُنظر: الأسلوب والأسلوبية. ٢٠ ، تأليف كراهم هاف ترجمة: كاظم سعد الدين ، والشعر وأيام العسرب في العصر

الجاهلي: ٣٣٣ .

(٢) الأسلوب والأسلوبية: ٢٠ .

(٣) يُنظر: الأسلوب: ٤٤ ، احمد الشاب .

الشعراء الإسلاميون في أدعيتهم وابتهالاتهم الدينية ، فكانت ضرورياً مختلفة (١) ، فالدعاء لشهداء المسلمين بالرحمة والمغفرة كان واحداً من هذه الضروب ، فقد خصوا قسماً من الشهداء بهذا الدعاء ، وكان العموم تلقسم الآخر ، فمن ضروب الدعاء الخاص ما نجده في شعر عبد الله بن رواحة الذي رثى به نافع بن بديل بن ورقاء الذي استشهد يوم الرגיע ، فقال داعياً له بالرحمة (٢) :

رَحِمَ اللَّهُ نَافِعَ بْنَ بُدَيْلٍ رَحْمَةً الْمُتَّبِعِي ثَوَابِ الْجِهَادِ

ومنه أيضاً دعاء حسان بن ثابت للمنذر بن عمرو ، فقال (٣) :

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى ابْنِ عَمْرٍو إِنَّهُ صَدَقَ الْإِلْقَاءَ وَصَدَقَ ذَلِكَ أَوْفَقُ

فصلاة الله تعالى على العباد هي رحمته جل شأنه عليهم (٤) .

كما دعا الشماخ بن ضرار المولى عز وجل أن يجزي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه خيراً لما أسداه من خدمة كبيرة للإسلام والمسلمين ، فقال (٥) :

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكْتَ بِدُ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْأَدِيمِ الْمَرْقِ

والأمر نفسه نجده عند كعب النهدي الذي استشهد ابنه عمرو وحمل ، فحمد الله

تعالى على استشهادهم ودعا المولى عز وجل أن يجزيهما خيراً ، فقال (٦) :

جَزَى حَمَلاً جَزَايَ الْعِبَادِ كَرَامَةً وَعَمْرٍو بْنَ كَعْبٍ خَيْرَ مَا كَانَ جَزَايَا

أمّا الدعاء لعامة شهداء المسلمين فنجده عند حسان بن ثابت في رثائه لشهداء يوم

الرجيع ، فقال (٧) :

صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأَكْرَمُوا وَأَنْبِئُوا

(١) الإسلام والشعر: ٢٠٩ ، د. سامي مكي العلي .

(٢) ديوانه: ٩٢ .

(٣) ديوانه: ٤٩٧ .

(٤) بنصر: تفسير القرطبي: ٢٣٢/١٤ .

(٥) ديوانه: ٤٤٨ .

(٦) التماري والمراثي: ٢٤١ ، التماري: ١٨/١ .

(٧) ديوانه: ١٧٩ .

ومنه أيضا دعاء كعب بن مالك بالرحمة لشهداء المسلمين يوم مؤتة ، فقال ^(١) :

صَلَّى إِلَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ فِتْيَةٍ وَسَقَى عِظَامَهُمُ الْعَمَامُ الْمُسْبِلِ

'ولم ينسَ المجاهدون وهم يخوضون غمار الحروب بحثاً عن الشهادة دعاء المولى عز وجل ، فضرار بن الأزور المجاهد مع إخوته المسلمين في فتوحات الشام يتقدم صفوف المقاتلين في إحدى المعارك ضد الروم ، متوكلاً على الله تعالى ويدعوه أن يغفر له ذنوبه ، ويمحو زلاته ، ويؤفقه إلى خير العمل ^(٢) ، فحُبُّه للشهادة جعله يدعوه هذا الدعاء حتى يلقاه بوجه حسن ، فقال ^(٣) :

عَلَيْكَ رَبِّي فِي الْأُمُورِ الْمُتَكِلُ

اغْفِرْ ذُنُوبِي إِنْ دَنَا مِنِّي الْأَجَلُ

يَا رَبُّ وَفَّقْنِي إِلَى خَيْرِ الْعَمَلِ

وَعَنِّي افْحُ سَيِّدِي كُلَّ الزَّلَلِ

مَالِي سِوَاكَ فِي الْأُمُورِ مِنْ أَمَلٍ

أمّا عبد الله بن رواحة فيو لم يدع لاحقاً ما ، ولا لجماعة ، بل دعا الله تعالى أن يرزقه الشهادة بضربة تقذف الزبدا ، فقال ^(٤) :

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتُ فَرْغٍ تَقْدِفُ الزَّبْدَا

ومن الأساليب الأخرى التي نلمح فيها أثر الإسلام ، هو أسلوب نداء العين بالبكاء على شهداء المسلمين . وقد يسأل سائل ما الجديد في هذا الأسلوب وهو أمر قد شاع استخدامه عند شعراء ما قبل الإسلام ؟. نقول إن البكاء في شعر ما قبل الإسلام كان يُصاحبه الجزع والاعتراض على قدر الله تعالى في أخذ شخص ما ، أمّا بكاء المسلمين على شهدائهم فهو بكاء تسيطر عليه الروح الإسلامية ، فكان أحدهم (يتجدد ويحافظ على

(١) ديوانه : ٢٠٥ .

(٢) يُنظر : الإسلام والشعر : ٢١ ، د. سامي مكّي العاي .

(٣) فروع الشام : ٢٣٨/٢ .

(٤) ديوانه : ٨٨ .

توازنه ويعبر عن هذا الموقف تعبیر الحكيم العاقل المتكول في آن (١) واحد ، فشعراء المسلمين في بكاؤهم على شهدائهم يقتدون برسول الله ﷺ حينما توفي ابنه إبراهيم ، فقال: " إِنَّ الْعَيْنَ تَمُوعٌ ، وَالْقَلْبُ يَحْزَنُ ، وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا ، وَإِنَّا لَفِرَاقُكَ يَا إِبْرَاهِيمَ لَمَحْزُونُونَ " (٢) ، فالقارئ لأشعارهم يلمح هذا الأثر جلياً فيجد الرضا بقضاء الله تعالى ، والصبر واحتساب هؤلاء الشهداء عند الله تعالى في جنات الخلد ، وهم في هذا الأسلوب - نداء العين - نجدهم أيضاً قد خصوا قسماً من الشهداء بهذا النداء ، وعموا القسم الآخر بهذا النداء ، فمن نداء للخصوص ما نجده في شعر كعب بن مالك في رثائه عبيدة بن الحارث ، إذ ينادي عينه أَنْ تَجُودَ بِمَوْعِهَا عَلَى هَذَا الشَّهِيدِ ، فقال (٣) :

يَا عَيْنُ جُودِي وَلَا تَبْخُلِي بِدَفْعِكَ حَقًّا وَلَا تُنْزِرِي

أَمَّا نَعَمْ زَوْجُ شَمَّاسِ بْنِ عَثْمَانَ الَّذِي اسْتَشِيدَ يَوْمَ أَحَدٍ ، فَتَنَادِي عَيْنُهَا طَالِبَةً مِنْهَا أَنْ تَجُودَ بِفَيْضِ دَمَوْعِهَا عَلَى هَذَا الرَّجُلِ الْكَرِيمِ ، فنقول (٤) :

يَا عَيْنُ جُودِي بِفَيْضِ غَيْرِ إِبْسَاسٍ عَلَى كَرِيمٍ مِنَ الْفَتَيَانِ أَبَاسٍ

وهذا حسان بن ثابت ينادي عينه أَنْ تَجُودَ هِيَ أَيْضاً بِدَعْمِهَا عَلَى فَتَى الْفَتَيَانِ خَبِيبِ ابْنِ عَدِي ، الَّذِي غَادَرَ مَعَ غَيْرِهِ مِنَ الشُّيَدَاءِ هَذِهِ الدُّنْيَا دُونَ رَجْعَةٍ إِلَيْهَا ، فقال (٥) :

يَا عَيْنُ جُودِي يَدْفَعُ مِنْكَ مُنْسَكِبٍ وَأَبْكِي خُبِيًّا مَعَ الْغَادِينَ لَمْ يُؤَبِّ

وعندما استشهد سليمان بن خالد بن الوليد رحمه الله تأثر عمار بن ياسر رحمه الله لاستشهاده وحزن عليه ، ونادى عينه أَنْ تَذْرِي عَلَيْهِ دَمْعِهَا الصَّبِيبِ ، فقال (٦) :

يَا عَيْنُ اذْزِرِي الدَّمَاعَ مِنْكَ الصَّبِيبِ ثُمَّ اذْزِرِي يَا عَيْنُ فَقَدْ الْحَبِيبِ

(١) رثاء الأبناء في الشعر العربي حتى نهاية العصر الأموي: ٤٦ .

(٢) صحيح البخاري: ٤٣٩/٢ .

(٣) ديوانه: ١٦٨ .

(٤) معجم ديوان أشعار النساء: ١٦٢ .

(٥) ديوانه: ٣٧٠ .

(٦) فروع الشام: ٢٦٣/٢ .

وهذه عاتكة بنت زيد تطلب من عينها أن تجود بدمعها دون ملل على زوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنقول ^(١) :

عَيْنُ جُودِي بِعَبْرَةٍ وَنَجِيبٍ لَا تَمْلِي عَلَى الْإِمَامِ النَّجِيبِ

كما كان لعامة شهداء المسلمين حظهم من هذا النداء ، فحسان بن ثابت يبكي على شهداء المسلمين يوم بدر معونة ، فيقول ^(٢) :

عَلَى قَتْلَى مَعُونَةٍ فَاسْتَهْلِي بِدَمْعِ الْعَيْنِ سَحًّا غَيْرَ نَزْرِ

ونجده مرة أخرى يبكي على شهداء المسلمين قادة جيش مؤتة ، فيطول به البكاء حتى نفذ دمعها ولم يبقَ إلا القليل منه ، لكنه مع هذا يُنادي عينه أن تجود بهذا النزر القليل ^(٣) ، فيقول ^(٤) :

عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِكَ الْمُنْزُورِ وَادْكُرِي فِي الرَّخَاءِ أَهْلَ الْقُبُورِ
وَادْكُرِي مُؤْتَةَ وَمَا كَانَ فِيهَا يَوْمَ وَلَّوْا فِي وَقْفَةِ التَّغْوِيرِ

أمّا همام بن جرير فيطلب من عينه أن تبكي على شهداء المسلمين الذين نالوا الشهادة في إحدى فتوحات الشام ، دون توقف ، بل تسحّ دموعها مثل مطر الغمام الذي في السماء ، فقال ^(٥) :

يَا عَيْنُ ابْكِي لَا تَمْلِي الْبُكَى سَحَّى دُمُوعًا مِثْلَ سَكْبِ الْغَمَامِ

وأسلوب القسم قد وُجدَ ومن خلال أشعارهم متأثراً بثقافة الدين الجديد أيضاً ، وهذا القسم قد تنوعت ضروبه في أشعارهم ، فتارة يقسمون أنهم لا ينسون شهداءهم ، وتارة يقسمون أنهم سوف ينتقمون من قاتليهم ، وتارة يقسمون أن فراق الشهداء قد أثر فيهم فهم حزاني عليهم ، وتارة يقسمون على تأكيد شجاعة الشهداء وغير ذلك من ضروب القسم الأخرى .

(١) معجم ديوان أشعار النساء: ١١٧ .

(٢) ديوانه: ٢٠٧ .

(٣) يُصر: شرح ديوان حسان: ٢٩٤ هامش .

(٤) ديوانه: ٢٩٥ .

(٥) نوح الشام: ٢٨٤/٢ .

فهذا حسان بن ثابت يقسم بالله العظيم أنه لا ينسى حمزة ما دامت الناقة التي لها لبن مربوطة أمامه ، لأنها تذكره بكرم هذا الفارس المغوار ، فقال ^(١) :

يَا حَمَزَ لَا وَاللَّهِ لَا أُنْسَاكَ مَا ضُرَّ اللَّقَائِحُ

وصفية بنت عبد المطلب هي أيضا تقسم بالله العظيم أنها لا تنسى أخاها حمزة كل

ما هبَّت الرياح الشرقية ، وسوف تبكيه في حضورها وغيبابها ، فتقول ^(٢) :

قَوَّ اللَّهُ مَا أُنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَلَا بُكَيْنٌ فِي مَحْضَرِي وَمَسِيرِي

كما أقسم قسم من المجاهدين وقادة المسلمين على أخذ الثأر من قاتلي رفاقهم

المجاهدين ^(٣) ، أمّا كعب بن مالك فأقسم أنه قد هُذِّفَ حمزة هُذَّةً ظَلَّ منها جسمه يرتعد ، فقال ^(٤) :

وَلَقَدْ هُدِدْتُ لِفَقْدِ حَمَزَةٍ هُذَّةٍ ظَلَّتْ بَنَاتُ الْجَوْفِ مِنْهَا تَرَعِدُ

وَلَقَدْ أَخَالَ بِذَلِكَ هِنْدًا بُشِّرَتْ لَتُمِيتَ دَاخِلَ غُصَّةٍ لَا تَبْرِدُ

فهذا النوع من القسم يسمى بالقسم المضمر ، والذي يدل عليه هو هذه اللام

الموطنة للقسم ^(٥) . كما وجدنا في أشعارهم استعمال الفعل (أقسم ، في أيمانهم

مجرداً عن المقسم به) ^(٦) ، فهذا عبد الله بن رواحة يقسم على نفسه أن تنزل إلى ساحة

المعركة طائعة أو مكرهة ، فهو لا يئمه رضاها بقدر ما يئمه الشهادة والفوز بها ، فقال ^(٧) :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَرْلَنُ لَتَرْلَنُ لَتَرْلَنَ أَوْ لَتُكْرِهَنُ

(١) ديوانه: ٤٥٠ .

(٢) معجم ديوان أشعار النساء: ١٠٥ .

(٣) يُنظر: شعر عمار بن ياسر ، وحالد بن الوليد ، ومهم بن حرير في فتوح الشام: ٢/٢٦٤ و ٢٦٧ و ٢٨٤ .

(٤) ديوانه ١٥٩ - ١٦٠ .

(٥) يُنظر اساليب القسم في اللغة العربية: ٣٤٢ ، كاسم فتح الراوي .

(٦) يُنظر المصدر نفسه: ٣٥٠ .

(٧) ديوانه: ١٠٨ .

أما أبو خراش الهذلي فإنه يُقسم بالله العظيم لقائيل ابن عمه زهير بن العجوة أنه لو لاقاه غير موثق اليدين لقاتلته بشراسة ضباع الوادي الجباع المشتبهات للاكل ، مؤكداً من خلال هذا القسم شجاعته ، فقال (١):

فَوَ اللَّهِ لَوْلَا قَيْتُهُ غَيْرَ مُوثَقٍ لَأَبْكُ بِالْجَزَعِ الضَّبَاعَ التَّوَاهِلُ

وقد حفلت أشعارهم كما أوضحنا بأساليب أخرى اقتضى وجودها طبيعة القضية المُعالجة والاهداف المستوحات من هذه المعالجة ، فمن هذه الاساليب أسلوب الاستفهام التعجبي ، ونجد هذا واضحاً في رثاء حسان لخبيب بن عدي ، فهو يستفهم مُتعباً من غير لا تجف دموعها ، بل هي تصب هذا الدمع على الصدر كأنه قطع اللؤلؤ (٢) ، فقال (٣):

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَرْقَا مَدَامِعُهَا سَحًا عَلَى الصَّدْرِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ الْقَلِقِ

ولم يكن أسلوبا الاستفهام والتعجب خاتمة ما وُجدَ من أساليب في أشعارهم ، بل وُجدَ عند نفر من المجاهدين الذين كانوا يخوضون غمار الحروب ويتقدمون الصفوف أسلوب الرجاء ، فقد كانوا يرجون من المولى وَجَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُمُ الشَّهَادَةَ والفوز بها في هذا القتال ، فأبو ذر (٤) الغفاري رحمه الله ، كان من المجاهدين المشاركين في فتوح الشام ، نراء في إحدى المعارك يمضي نحو الاعداء بقلب شجاع وثبات على القتال ، فكله عزم على قتال الاعداء ، ثم يرجوه تعالى أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ ، فانشد (٥):

سَأَمْضِي لِلْعِدَاةِ بِلَا كَيْشَابٍ وَقَلْبِي لِلْقَا وَالْحَرْبِ صَايٍ

وَلِي عَزْمٌ أَذِلُّ بِهِ الْأَعَادِي وَأَرْجُو الْفَوْزَ فِيهِمُ وَالْثَوَابِ

مما تقدم نلاحظ أثر القرآن واضحاً في أساليبهم ، فاصبحت واضحة بعيدة عن الغموض والتعقيد ، فاستعملها الشعراء وغيرهم ممن لم يتخصص بقول الشعر ، بل

(١) ديوان الهذليين: ١٥٠/٢ .

(٢) يُنظر: شرح ديوان حسان: ٢٤٦ هامش .

(٣) ديوانه: ٢١٣ .

(٤) هو جندب بن حادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صُغُر بن حرام بن غفار الغفاري ، وامه رملة بنت الوقعة ، من بني عمار من مليل ، كان من كبار الصحابة قديم الإسلام ، وتوفي أبو ذر سنة إحدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين . يُنظر:

الإستيعاب: ١٦٥٢/٤ - ١٥٥٦ . ويُنظر: الإصانة: ٦٠/٧ - ٦٣ .

(٥) فتوح الشام: ٢٢٧/٢ .

أنشد شعره متأثراً بموقف معين مر به ، فاستعمل كل واحد منهم اسلوباً معيناً يناسب الغاية التي من أجلها أنشد هذا الشعر .

ولم يختلف الأمر كثيراً عند شعراء العصر الأموي ، فهم أيضاً قد استخدموا معظم هذه الأساليب ، التي قد تجلى أثر القرآن في الكثير منها ، فتبدأ كما بدأنا عند شعراء صدر الإسلام بأسلوب الدعاء .

فهذا أبو صخر الهذلي يدعو المولى ﷺ أن يلهمه الصبر على فقد ابنه الشهيد ، فيقول (١):

سَأَلْتُ مَلِيكِي إِذْ بَلَائِي بِفَقْدِهِ ، وَفَاةً بِأَيْدِي الرُّومِ بَيْنَ الْمَقَانِبِ ،

واسلوب نداء العين على قلته كان له وجود في أشعارهم ، فهذا خالد بن عقبة ينادي عينه أن تجود بدموعها على القائد سعيد بن عثمان بن عفان "رضي الله عنهما" ، فقال (٢):

يَا عَيْنُ جُودِي بَدِّمْ مِنْكِ ثَهَاتَنَا ، وَأَبْكِي سَعِيدَ بْنِ عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانَا

في حين نجد الشمردل في قصيدته التي رثى بها أخاه وائلاً وفي منتصفها يطلب من عينيه أن تبكي الدهر على من نصره وعطاؤه قد بعد عنهم ، فقال (٣):

فَعَيْنِي إِذَا أَبْكََا كَمَا الدَّهْرُ فَابْكِيَا لِمَنْ نَصْرُهُ قَدْ بَانَ مِثْلًا وَنَائِلًا

والأمر نفسه نجده قد اتبعه في قصيدته الأخرى التي رثى بها أخويه قدامة ووائلاً ، ففي منتصفها أيضاً نادى عينيه أن تفضّل بدمعها عليهما ، فقال (٤):

فَعَيْنِي إِنْ أَفْضَلْتُمَا بَعْدَ وَائِلٍ وَصَاحِبِهِ دَمْعًا فَعُودًا عَلَى الْفَضْلِ

(١) شرح أشعار المنّليين: ٩٢٣/٢ .

(٢) تاريخ ابن عساكر: ١٥٨/٦ .

(٣) شعراء أمويون: ق ٥٤٣/٢ .

(٤) المصدر نفسه: ق ٥٤٨/٢ .

لكن هذا الدمع قد أفناه البكاء على أخيه الحكم الذي استشهد أيضاً، فقال (١):

فَقَدْ أَفْنَى الْبُكَاءُ عَلَيْهِ دَمْعِي وَلَوْ أَنِّي الْفَقِيدُ إِذَا بَكَانِي

كما استخدموا أسلوب القسم ، فهذا عقيل بن علفة يقسم أنه لا يبكي على ابنه السذي هلك ، لأنه قتل شهيدا في سبيل الله تعالى وفاز بالشهادة ، فقال (٢):

فَأَقْسَمْتُ لَا أَبْكِي عَلَى هُلْكِ هَالِكٍ أَصَابَ سَبِيلَ اللَّهِ خَيْرَ سَبِيلٍ

واستعمل بقية الشعراء (لعمر) مضافة الى الاسماء الظاهرة أو المضمره اسلوبا للقسم (٣)، فهذا الثمرذل اليربوعي يقسم أن اخاه قد أصبح في دار فرقة بعيدة ، ورجع إلينا منه سيفه ورواحله ، فقال (٤):

لَعَمْرِي لَئِنْ هَالَتْ أَخِي دَارَ فُرْقَةٍ وَآبَ إِلَيْنَا سَيْفُهُ وَرَوَاحِلُهُ

ويقسم عقيل بن علفة أن نبأ استشهاده ابنه الذي وصل إليه كان عليه ثقلا ، فقال (٥):

لَعَمْرِي لَقَدْ جَاءَتْ قَوَافِلُ خَبَرَتْ بِأَمْرِ مِنَ الدُّنْيَا عَلَيَّ ثَقِيلٍ

(١) شعراء أمويون: ٥٥٣/٢ .

(٢) الاغانى: ٣١٣/١٢ .

(٣) ينظر: اساليب القسم في اللغة العربية: ٣٢٩ .

(٤) شعراء أمويون: ٥٤٠/٢ .

(٥) الاغانى: ٣١٢/١٢ .

وهذا الشمر دل اليربوعي من شدة حزنه على أخيه ولئلا يُقسم أن الموت يختار منهم من كان شجاعاً كريماً ، فيقول ^(١):

لَعَمْرُكَ إِنْ الْمَوْتَ مِثْلُ مُوَلَّعٍ بِمَنْ كَانَ يُرْجَى نصرُهُ ونوافِلُهُ

وهذا المعنى يذكرنا بقول طرفة بن العبد الذي يقول إن الموت يختار الكرام ويترك ويبتعد عن البخيل الفاحش ، فقال ^(٢):

أرى الْمَوْتَ يَعْتَامُ الْكِرَامَ وَيَصْطَفِي عَقِيلَةَ مَالِ الْفَاحِشِ الْمُتَشَدِّدِ

أما الفرزدق في رثائه لابن أخيه محمد فيقسم أنه قد سلم لو أن جنوة على قبر رد السلام كلامها ، فقال ^(٣):

لَعَمْرِي لَقَدْ سَلَمْتُ لَوْ أَنَّ جَنُوءَ عَلَى جَدَّتِ رَدَّ السَّلَامِ كَلَامُهَا

وهذا الشمر دل اليربوعي يقسم أن الإنسان إذا ما نجا من الاحداث دون أذى ، فإنه لن ينجو من اليرم ، فقال ^(٤):

لَيْنَ نَجَوْتَ مِنَ الْاِحْدَاثِ أَوْ سَلَمْتَ نَفْسُكَ لَمْ تَسَلَمْ مِنَ الْمَرَمِ

ولنا على قسمه هذا اللام الموطنة للقسم ، ومثل هذا القسم وجد أيضاً عند الفرزدق عندما أقسم أن المنية قد أخذت منه محمداً ، لكن أخذها هذا قد أهلك الأولين ، فقال ^(٥):

لَيْنَ خَرَمْتُ عَنِّي الْمَنَايَا مُحَمَّداً لَقَدْ كَانَ أَفْتَى الْأَوَّلِينَ اخْتِرَامُهَا ^(٦)

إن وجود اللام الموطنة للقسم دليل عليه لا يمنع أن يكون هناك قسم دون أن يدل عليه لفظ معين ، بل الدلالة تكون للمعنى ^(٧) ، كالذي وجدناه عند الفرزدق في رثائه لابن

(١) شعراء أمويون: ٥٤٥/٢ .

(٢) ديوانه: ٣١ .

(٣) شرح ديوان الفرزدق: ٧٥٣/٢ .

(٤) شعراء أمويون: ٥٥٢/٢ .

(٥) شرح ديوان الفرزدق: ٧٥٢/٢ .

(٦) يقال احترم فلان عا: أي مات وذهب ، واحترمه المنية من بين أصحابه: أي أخذته من بينهم . يُنظر: اللسان: ٢: ١١٤٥

(حرم) .

(٧) يُنظر: اساليب القسم في اللغة العربية: ٣٩ .

اخيه محمد ، عندما أقسم أنه سوف يبكيه بحزنٍ ما دام يمشي على الارض إنسان ، وما لاح نجم في السماء ، وكلما هتفت حمامة أليك فوق الغصون ، فقال (١):

سَأُبْكِيكَ مَا كَأَنَّ بِنَفْسِي حُشَاشَةً وَمَا دَبَّ فَوْقَ الْأَرْضِ يَمْشِي أَنَا مُهْمَا
وما لاح نجم في السماء وما دعى حمامة أليك فوق ساق حمامتها

كما استعملوا اسلوب الاستفهام قاصدين من خلاله لفت انتباه السامعين الى ما يريدون التحدث عنه ، فهذا خالد بن المعارك الملقب بابن عرس يسأل مستقيهما عن حال حماة الحرب ، ويقصد بهم شهداء المسلمين يوم الشعب ، وقصد بهذا السؤال الاستفهامي إثارة الحزن عليهم ، فقال (٢):

أَيْنَ حُمَاةَ الْحَرْبِ مِنْ مَغَشَرٍ كَانُوا جَمَالَ الْمُنْشِرِ الْخَارِدِ
بادوا بآجالٍ توافوا لها والعائرُ المُمهلُ كالبائِدِ

لكننا نجد صابراً محتسباً ، لانه أدرك وأيقن أن الميت لا رجعة له ، وأنه لا خلود في الدهر لحى من الاحياء ، وهذا المعنى توه إليه وأشار إليه من خلال اسلوب الاستفهام ، فقال (٣):

أَنْظُرْ تَرَى لِلْمَيِّتِ مِنْ رَجْعَةٍ أَمْ هَلْ تَرَى فِي الدَّهْرِ مِنْ خَالِدٍ

كما وجدنا عند بعض المجاهدين الذين شاركوا في معارك المسلمين ضد الكافرين أناشيد جهادية يرجون فيها المولى ﷺ أن يرزقهم جنانا جمعت كل النعيم ، فهذا يعقوب بن عبد الكريم يرجو الله تعالى ان يرزقه هذه الجنان ، فقال (٤):

أَرْجُو جَنَانًا حَقَّقَتْ كُلَّ النَّعْمِ مَعَ فِتْنَةٍ كَانُوا لَعْمَرِي كَالْبَهْمِ

هذا اهم ما وجد من اساليب عند شعراء هذا العصر فيما يخص موضوع البحث .
ومما تقدم يمكن القول إنه يوجد شبه كبير بين اساليب عصر صدر الإسلام والعصر الاموي ، ويكاد ينحصر الفرق بينهما في اسلوبين ، الاول اسلوب نداء العين

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٧٥٣/٢ .

(٢) تاريخ الطبري: ٢١٥/٨ ، الشعر العربي بخراسان في العصر الاموي: ١٨٠ .

(٣) المصدران أنفسهما .

(٤) الفتح: ١٨٣/٧ .

بالبكاء على الشهداء ، ففي شعر صدر الإسلام وجدنا أن الشعراء قد اقتصروا من استعمال هذا الأسلوب ، أمّا عند شعراء العصر الأموي فإن هذا الأسلوب يكاد يختفي إلا في ثلاث مرات ، في الأولى جاء فيها على نهج سلفهم ، أمّا في الثانية والثالثة فقد وردتا خلاف ما ورد عليه هذا الأسلوب عند شعراء صدر الإسلام ، الذين كانوا يستفتحون قصائدهم بهذا الأسلوب ، أمّا عند شعراء هذا العصر فإن هاتين المرتين اللتين استخدما فيهما هذا الأسلوب ، فقد كانتا في منتصف اشعارهم . وسبب هذا الفرق يمكن أن نعزوه ومن خلال ما تقدم الى أن أسلوب نداء العين بالبكاء كما ذكرنا هو أسلوب قد شاع عند شعراء ما قبل الإسلام ، وقد انتقل الى شعر صدر الإسلام بفعل الشعراء المخضرمين ، وهذا الأسلوب قد تأثر كما اوضحنا ايضا بتعاليم الدين الإسلامي ، لكن شعراء العصر الأموي الذين شهدوا ثقافات جديدة ، بفضل فتوحات الدولة الإسلامية الكثيرة ، قد وجدوا أن هذا الأسلوب قد أصبح قديماً وأنه ليس من الضرورة التمسك به ، قياساً إلى ما استجد عندهم ^(١) . أمّا الأسلوب الثاني وهو المحاوراة التي يجريها الشاعر مع شخص ما ، فلا نقول إن شعراء العصر الأموي قد انفردوا به ، بل هو قديم ومعروف ، لكن شعراء صدر الإسلام لم يتناولوه بصيغة مطولة كالتي عند يزيد ومالك .

وهذا التعليل وهذا التبيين الذي اوردناه لا يُنسبنا سبباً مهماً ذا علاقة بهذا الفرق بين العصرين فيما يتعلق بموضوع البحث ، ألا وهو قلة ما وصل إلينا من شعر الشهادة والشهيد الخاص بالعصر الأموي .

(١) بظر: الشعر الأموي دراسة في التقاليد والأصالة الأدبية: ٦٥ و٦٩ - ٧٠ ، د. محمد فروح احمد .

المبحث الرابع

إقتباس الشعراء من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

القبس: (شُعْلَةٌ مِنَ النَّارِ يَقْبَسُهَا أَي يَأْخُذُهَا مِنْ مَعْظَمِ النَّارِ) ^(١) ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴾ ^(٢) ، وَيُقَالُ : (أَقْبَسْتُ الرَّجُلَ عِلْمًا بِالْأَلْفِ ، وَقَبَسْتُهُ نَارًا أَقْبَسَهُ إِذَا جَنَّتْ بِهَا) ^(٣) ، قَالَ الْكِسَائِيُّ : (وَأَقْبَسْتُ مِنْهُ عِلْمًا وَنَارًا سَوَاءً) ^(٤) ، وَفِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ قَالَ ﷺ : " مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحَرِ " ^(٥) ، (وَالْقَوَابِسُ الَّذِينَ يَقْبِسُونَ النَّاسَ الْخَيْرَ يَعْنِي يَعْلَمُونَ ، وَأَتَانَا يَقْتَبِسُ الْعِلْمَ فَأَقْبَسْنَاهُ أَيِ عِلْمَانَهُ) ^(٦) .

أَمَّا فِي الاصِّطِلَاحِ : فَهُوَ أَنَّ (يُضَمَّنُ الْكَلَامُ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ الْحَدِيثِ) ^(٧) . فَحَاوَلَ شُعْرَاءُ صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَالْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ الْإِفَادَةَ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَفْكَارِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ وَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ ، وَمَحَاوَلَةُ تَقْلِيدِ أَسْلُوبَيْهِمَا فَقَدْ كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَالْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ وَمَا زَالَا يُمَثِّلَانِ الذَّرْوَةَ الْعُلْيَا فِي الْبَلَاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ . وَنَبِذَا أَوَّلًا إِقْتِبَاسَ الشُّعْرَاءِ مِنْ (الْمَنْبَعِ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ لِلتَّقَافَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهَا ، لِمَا أَوْدَعَ فِيهِ تَعَالَى مِنْ كُلِّ مَا يَخُصُّ الدِّينَ وَالْدُنْيَا ، فَهُوَ دَسْتُورُ الْإِسْلَامِ الْخَالِدِ ، تَتَنَاوَلُ آيَاتُهُ

(١) يُنْظَرُ : تَهْذِيبُ اللُّغَةِ : ٤١٩/٨ (قَبَسَ) ، وَيُنْظَرُ : مَقَابِيسُ اللُّغَةِ : ٤٨/٥ ، وَاللِّسَانُ : ٣٥١٠/٥ ، وَالْقَامُوسُ الْحَمِيدُ : ٢٤٧/٢ .

(٢) سُورَةُ طه : الْآيَةُ ١٠ .

(٣) تَهْذِيبُ اللُّغَةِ : ٤١٩/٨ ، وَيُنْظَرُ : مَقَابِيسُ اللُّغَةِ : ٤٨/٥ ، وَاللِّسَانُ : ٣٥١٠/٥ ، وَالْقَامُوسُ الْحَمِيدُ : ٢٤٧/٢ .

(٤) اللِّسَانُ : ٣٥١٠/٥ .

(٥) سَنَى أَبِي دَاوُدَ : ١٥/٤ .

(٦) اللِّسَانُ : ٣٥١١/٥ .

(٧) الْإِبْصَاحُ فِي عُلُومِ الْبَلَاغَةِ : ٤١٦/٢ ، وَيُنْظَرُ : لُغِيَّاتُ فِي عِلْمِ لُغَدِيٍّ وَالدِّعِيقِ وَالْبَيَانِ : ٤١٦ ، لِلْعَلَامَةِ شَرْفِ الدِّينِ أَنْصَارِيِّ ، تَحْقِيقُ د. هَادِي عَطِيَّةٍ مَطَرٍ ، وَبَوَارِ الْرَبِيعِ فِي أَنْوَاعِ الْبَدِيعِ : ٢١٧/٢ ، لِلْسَّيِّدِ عَلِيِّ صَدْرِ الدِّينِ الْمَدَنِيِّ ، تَحْقِيقُ شُكْرٍ هَادِي شُكْرٍ ، وَحَوَاهِرُ السَّلَاحَةِ فِي الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ وَالدِّعِيقِ : ٣٣٥ ، لِلْسَّيِّدِ أَحْمَدِ الْهَاشِمِيِّ .

كل المجالات وتعرض لكل الموضوعات (١)، (وليس المقصود بالاعتباس من القرآن تقليده في طريقة معالجته لموضوعاته ، فالغرض الديني الواضح والأصيل في القرآن ، هو الذي يحكم موضوعاته وتوجيهاته وتعبيراته ، لكنه - مع وفائه بالغرض الديني كاملاً - يحمل خصائص فنية تصل إلى حد الإبداع والإعجاز وذلك إلى جانب المفاهيم التي يعرضها عن الكون والحياة والإنسان . وحين نحاول الإفادة من القرآن في مجال الفن ، فسنلجأ إلى الناحيتين معاً: المفاهيم وطرائق الأداء . ولكن لا نقتلدها ، وإنما لانتقاء " التوجيه " الذي تحمله ، والنسج على منواله فيما ننشئ من الفنون (٢) ، والشعر الإسلامي في مقدمة هذه الفنون (٣) ، ونستطيع تقسيم الاعتباس على أربعة أنواع هي (٤):

النوع الأول: اقتباس الآيات القرآنية مع تحوير بسيط أو كبير في تركيب الجمل وترتيبها محافظة على الوزن وانسجامها مع القافية .

النوع الثاني: اقتباس المعنى أو الفكرة التي وردت في آيات القرآن الكريم .

النوع الثالث: أن يقتفي الشاعر باقتباس إشارة توجي للقارئ اللبيب بأية أو أكثر من آيات القرآن الكريم .

النوع الرابع: وهو أن يقتبس الشاعر الآية نفسياً ، ويضمنها شعراً ، بلا تغيير أو تبديل ، وهو قليل ، لأن الالتزام به صعب ، وربما لا يستقيم تطبيقه مع وزن الشعر أو قافيته .

وأغلب اقتباسات شعراء المسلمين كانت قائمة على أخذ المعنى أو الفكرة التي تضمنتها الآيات الكريمة أو الأحاديث النبوية الشريفة ، ولا نجد في اقتباساتهم عبارة قال

(١) شابع الثقافية في الشعر العربي في عصر صدر الإسلام وتعصر لامرئ: ٨٥ ، رسالة دكتوراه: كلية أدب ، بغداد ، عباس محمد رضا ، ١٩٩١ .

(٢) منبج الفن الإسلامي: ٢٠٩ ، محمد قطب .

(٣) النظر: الإسلام والشعر: ٢٢٤ ، د سامي مكي العدي

(٤) انصدر نفسه: ٢٢٥ - ٢٣١ .

تعالى أو نحوه ، لأنهم إن فعلوا ذلك فقد خالفوا مفهوم الاقتباس القائم على اخذ المعاني والأفكار فقط ^(١) .

قال تعالى: ﴿ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ^(٢) . فهذا الجزاء العادل الذي حكم به رب العزة والجلال بين المؤمنين والكافرين ، أفاد منه كعب بن مالك في موازنة أجراها بين شهداء المسلمين وقتلى الكافرين ، فجعل الخلود في النعيم جزاء لشهداء المسلمين ، والثواء في الجحيم مصير الكافرين ، فقال ^(٣) :

شَتَان مَنْ هُوَ فِي جَهَنَّمَ ثَاوِيَا أَبَدًا وَمَنْ هُوَ فِي الْجَنَّةِ مُخَلَّدُ
قَالَ تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ^(٤) .
كانت هذه الآية الكريمة غذاءً روحياً لخبيب بن عدي يوم أن أجمعوا على قتله ، فغذته بالصبر والثبات على دين الله تعالى ، لأنه أدرك أن مصيره إلى الله تعالى ومصير كل حي ، وهو الذي يجازي العباد كلاً حسب عمله ^(٥) ، فقال ^(٦) :

فَوَ اللَّهِ مَا أَرْجُو إِذَا مِتُّ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كَانَ فِي اللَّهِ مَصْرَعِي

(١) يُنظر: إلتقان في علوم القرآن ومهامه إعجاز القرآن: ١١٣/١ ، لجلال الدين السيوطي .

(٢) سورة البقرة: الآية ٨١ - ٨٢ .

(٣) ديوانه: ١٦١ .

(٤) سورة البقرة: الآية ١٥٦ .

(٥) يُنظر: هذا المعنى أي مصر الرجوع إلى تعالى في السور الكريمة الآتية: المائدة: ٤٨ و ١٠٥ ، ويونس: ٥٦ ، وهود: ٤ و ٣٤ ، والقصاص: ٧٠ و ٨٨ ، والعنكبوت: ١٧ ، والروم: ١١ ، ويس: ٢٢ و ٨٣ ، والزمر: ٤٤ ، وفصلت: ٢١ ، والرحرف: ٨٥ .

(٦) السيرة النبوية: ١٨٦/٣ ، والإسنياب: ٤٤١/٢ ، وأسد الغابة: ١٢٢/٢ ، ونهاية الأرب: ١٣٦/١٧ ، والبدائية والنهاية: ٦٠/٤ ، شمع الدعوة الإسلامية في عهد النبوة والراشدين: ٧٥ ،

-إبارة الصحابة: ٥٠١/١ - ٥٤٢-

قَلَسْتُ بِجُودٍ لِّلْعَدُوِّ تَخْشَعًا وَلَا جَزَعًا إِنِّي إِلَى اللَّهِ مَرْجِعِي
 قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ
 الْمُهْتَدُونَ﴾ (١).

كانت لهذه المنزلة العظيمة والرحمة الكريمة أثرها في شعر حسان بن ثابت حين
 دعا لشهداء الرجيع ، فقال (٢):

صَلَّى إِلَهُ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا يَوْمَ الرَّجِيسِ فَأَكْرَمُوا وَأُثْبِتُوا
 قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى
 وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ (٣).

استجاب المجاهد المقدم الشهيد عمير بن الحمام لهذه الموعظة العظيمة ، فجعل
 خير زاده من هذه الحياة الدنيا التقوى والعمل الصالح والجهاد في سبيل الله تعالى ، وذلك
 يوم أن استجاب لنداء الرسول ﷺ وهو يُرغبهم في طلب الشهادة يوم بدر ، فمضى
 يرتجز قائلاً (٤):

رَكْضًا إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلُ الْمَعَادِ
 وَالصَّبْرُ فِي اللَّهِ عَلَى الْجَهَادِ وَكُلُّ زَادٍ غُرْضَةٌ التَّفَادِ
 غَيْرَ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ
 رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٥).

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٧ .

(٢) ديوانه: ١٧٩ .

(٣) سورة البقرة: من الآية ١٩٧ .

(٤) تاريخ الطبري: ٢٨/٢ ، الأعاني: ١٩٥/٤ ، الإشتياع: ٣/١٢١٥ ، ويُطَر: أسد الغاب: ٢٩١/٤ .

النهاية والنهاية: ٢٧٧/٣ .

(٥) سورة البقرة: الآية ٢١٨ .

يؤكد لنا رب العزة والجلال في قوله الكريم هذا أن غاية المجاهدين من جهادهم لأعداء الإسلام واستشهادهم في سبيل ذلك إنما يرجون رضاه ورحمته ومغفرته ، وهذا ما أكدته كعب بن مالك بحق حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فقال ^(١) :

يُرِيدُ بِذَلِكَ رِضًا أَحْمَدَ زَرَضُونَ ذِي الْعَرْشِ وَالْعِزَّةِ
قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ^(٢) .

أفاد حسان بن ثابت من هذه الآية للكرامة في رثائه لخليفة المسلمين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليؤكد تلاوته لآيات الله البينات ، ووجه الفائدة الذي استقام حسان من هذه الآية للكرامة أنه اقتبس كلمة (محكمات) ، فقال ^(٣) :

فَجَعْنَا فَيروزَ ، لا در درهُ
بِأَيُّضَ يَقْلُو الْمُحْكَمَاتِ مُنِيبِ
قال تعالى: ﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٤) ، وقال تعالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٥) .

إن هذه الجنان اللواسعة والعريضة ، والتي وسعت للسموات والأرض كانت وسيلة نجم بن مفرج لكي يرغب بها المجاهدين على الإقدام والفوز بالشهادة وذلك يوم اليرموك

(١) ديوانه: ١٧٥ .

(٢) سورة آل عمران: من الآية ٧ .

(٣) ديوانه: ٢٧٣ .

(٤) سورة آل عمران: ١٣٣ .

(٥) سورة الحديد: الآية ٢١ .

ونلمس ذلك في الشطر الأول من بيته الآتي ، فقال ^(١):

وَلِلّٰهِ فِي عَرْضِ السَّمَاءِ جَنَّةٌ وَلَكِنَّهَا مَحْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ

قال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَآخَرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾ ^(٢).

للت هذه الآية الكريمة على أجر الشهداء بدخولهم الجنة التي أعد الله تعالى لهم من الأجر العظيم ، فهم في راحة دائمة أبدية ، وهذه الراحة - راحة الشهادة - أثبتتها حسان لأمامة التي جاءت تسأل عن قبر أبيها حمزة بن عبد المطلب عليه السلام فقال ^(٣) :

فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الشَّهَادَةَ رَاحَةٌ وَرِضْوَانُ رَبِّ يَا أُمَامَ عَفُورٍ

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِّيقِينَ وَالشَّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴾ ^(٤) .

جعل الله تعالى مرتبة الشهداء بعد النبيين والصديقين ، أي في المرتبة الثالثة ومن بعد الصالحين ، فهم رفقاء في الجنة ، وهذه الرفقة الصالحة أكدها حسان بن ثابت بحق خبيب بن عدي الذي قُتل شهيداً ، فقال ^(٥) :

فَإِذْ هَبَّ خَبِيبٌ جِزَاءَ اللَّهِ طَيِّبَةً وَجَنَّةَ الْخُلْدِ عِنْدَ الْخُورِ فِي الرُّفْقِ

قال تعالى: ﴿ فَلْيَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ ^(٦) ، وقال تعالى:

(١) تروح الشام: ٢٠٣/١ .

(٢) سورة آل عمران: من الآية ١٩٥ .

(٣) ديوانه: ١٣٣ .

(٤) سورة النساء: الآية ٦٩ .

(٥) ديوانه: ٢١٣ .

(٦) سورة النساء: الآية ٧٤ .

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَغَدَاً عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

إن هذه الدعوة الكريمة والتجارة الرباحة التي دعا إليها رب العزة والجلال عباده المؤمنين المجاهدين لكي يجودوا بأنفسهم في سبيله تعالى مقبلين غير مدبرين ، كان لها أثرها في ذهن المجاهد عروة بن زيد الخيل ، لأنه أحب الشهادة وعرف أنها تجارة رابحة ، فشغل نفسه بالجهاد وأصبح همه الوحيد في هذه الحياة لأنه طريقه إلى الشهادة ، فقال (٢) :

وَأَصْبَحَ هَمِّي فِي الْجِهَادِ وَتَيَّي فَلِلَّهِ نَفْسٌ أَدْبَسْتُ وَتَوَلَّيْتُ
فَلَا ثَرَوَةَ الدُّنْيَا تُرِيدُ اكْتِسَابَهَا أَلَا إِنَّهَا عَنْ وَفْرِهَا قَدْ تَجَلَّتْ
قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ
نَصِيرًا ﴾ (٣) .

إن هذا المصير السحيق والمظلم الذي أعدّه الله تعالى للمنافقين من هذه الأمة قد استوعبه كعب بن مالك وجعله مصير قتلى الكافرين يوم أحد ، فقال (٤) :

أُولَئِكَ لَا مَنْ ثَوَى مِنْكُمْ مِنْ النَّارِ فِي الدَّرَكِ الْمَرَجِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥) ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٦) ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ

(١) سورة التوبة: الآية ١١١ .

(٢) الاخبار الطوال: ١٤٧ .

(٣) سورة النساء: الآية ١٤٥ .

(٤) ديوانه: ١٥٨ .

(٥) سورة المائدة: من الآية ١٧ .

(٦) سورة المائدة: من الآية ١٨ ، ونظر: كذلك الآيتين ٤٠ و ١٢٠ .

إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نُرَاهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١﴾ ، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنَ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *﴾ (٢).

اقتبس حسان بن ثابت رضي الله عنه من هذه الآيات المباركات معنيين مهمين ، فقد أثبتت الآيتان الأولى والثانية ملكية الله تعالى للسموات والأرض وما بينهما، وأثبتت الآيتان الباقيتان حتمية وقوع قضاء الله تعالى الذي لا مرد لوقوعه ، فأثبت المعنى الأول في الشطر الأول ، وفي الشطر الثاني أثبت المعنى الثاني فقال (٣):

وَنَعْلَمُ أَنَّ الْمَلِكَ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَأَنَّ قِضَاءَ اللَّهِ لَا بُدَّ وَاقِعٌ

قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٤) ، وقال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ (٥).

يُخبرنا رب العالمين في هذه الآية الكريمة صفة مهمة من صفات المؤمنين ، فهم أسودُّ أبطال على الكافرين ، ورحماء كرماء على إخوانهم المسلمين ، فخير من اتصف بهذه الصفة هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فهذا حسان بن ثابت يقتبس هذه الصفة من هذا القول الكريم ويجعلها صفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال (٦):

رَوْفٌ عَلَى الْأَدْنَى غَلِيظٌ عَلَى الْعِدَى أَخِي تَقَى فِي النَّائِبَاتِ نَجِيبٌ

ومما يؤكد أيضا اتصاف الفاروق بهذه الصفة ما أجاب به أحد أسرى المسلمين ابنه الرجل الذي أخذه أسيرا إلى منزله ، فعندما سمعته يتلو الآية الكريمة الثانية وعندما وصل إلى قوله تعالى: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ سأله عن معنى هذه الكلمات ومن المقصود بها ، فقال : هو صاحب هذه الفتوح ومجهز هذه الجيوش عمر بن

(١) سورة الحديد: الآية ٢٢ .

(٢) سورة النعاس: الآية ١١ .

(٣) ديوانه : ٢٦٧ .

(٤) سورة المائدة: من الآية ٥٤ .

(٥) سورة الفتح: من الآية ٢٩ .

(٦) ديوانه : ٢٧٣ .

الخطاب ﷺ (١) قال تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ وَبَدَّلَكَ أَمْرَتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٢) ، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ (٣) .

اقتبس كعب بن مالك من هاتين الآيتين معنيين مهمين ذوي صلة بعقيدة المؤمن فالآية الأولى أثبتت وحدانية الله تعالى ونفت عنه أن يكون له شريك ، وهذا الركن المهم الذي اقتبسه كعب نجده في الشطر الأول من قوله الاتي ، أمّا الشطر الثاني فقد أكد فيه ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين فهو مولاهم وناصرهم وهذا المعنى أخذه من الآية الكريمة الثانية ، فقال (٤):

بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٥) .

الموت حق على كل إنسان ، فإذا ما جاء أحدهم فإنه لا يتقدم ولا يتأخر عن مواعده فعلم حسان بن ثابت أن استشهاد أصحاب معونة إنما كان قدرهم وأجلهم الذي لا قاهم وهو حق أذن به ، فقال (٦):

عَلَى قَتْلَى مَعُونَةٍ فَاسْتَهْلَى بِدَمْعِ الْعَيْنِ سَحًا غَيْرَ نَزْدٍ
عَلَى خَيْلِ الرُّسُولِ غَدَاةً لَاقُوا مَنَائِمَهُمْ وَلَا قَتْلَهُمْ بِقَدَرٍ

(١) يُنظر: فتوح الشام: ١٠٧/٢ - ١٠٨ .

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٦٣ .

(٣) سورة محمد: الآية ١١ .

(٤) ديوانه: ٢١٦ .

(٥) سورة الأعراف: الآية ٣٤ .

(٦) ديوانه: ٢٠٧ .

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ يُسَرُّهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ مُقِيمٌ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (١).

إن هذا النعيم الخالد والدائم في جنات الخلد ، الذي أعدّه للشهداء ، نرى كعب بن مالك قد استوحاه من هذه الآيات المباركات وأثبتّه جزاءً لحمة بن عبد المطلب فقال (٢):

أَبَا يَغْلَى لَكَ الْأَرْكَانُ هُدَّتْ وَأَلَّتِ الْمَاجِدُ الْبِرُّ الْوَصُولُ
عَلَيْكَ سَلَامُ رَبِّكَ فِي جَنَّاتٍ مَخَالِطُهَا نَعِيمٌ لَا يَزُولُ
قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْتَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٣).

إن ما يُصيب الإنسان في حياته اليومية هو قدر الله تعالى ، والمسلم المؤمن يدرك أهمية الإيمان بقدر الله تعالى خيره وشره لأنه بأمر الله تعالى ، فحسان بن ثابت شاعر الرسول ﷺ مؤمن بذلك ونلمح هذا الإيمان في رثائه أصحاب الرجيع ، فهو مؤمن بأن استشهادهم قدر الله المكتوب ، فقال (٤):

صَلَّى الْإِلَهَ عَلَى الَّذِينَ تَتَابَعُوا	يَوْمَ الرَّجِيعِ فَأَكْرَمُوا وَأُثِيَسُوا
رَأْسُ الْكُتَيْبَةِ مَرْتَدًّا وَأَمِيرُهُم	إِبْنُ الْبَكْرِ إِمَامُهُمْ وَخِيْبُ
وَالْعَاصِمُ الْمَقْتُولُ عِنْدَ رَجِيعِهِم	كَسَبَ الْمَعَالِي إِنَّهُ لَكُسُوبُ
مَنْعَ الْمَقَادِفَ أَنْ يَنَالُوا ظَهْرَهُ	حَتَّى يُجَالِدَ إِلَهُهُ لَتَجِيبُ
وَابْنُ لَطَارِقٍ وَابْنُ دَثَنَةَ فِيهِم	وَأَفَاهُ ثُمَّ جِمَامُهُ الْمَكْتُوبُ

(١) سورة التوبة: الآيات ٢٠ - ٢١ - ٢٢ .

(٢) ديوانه: ٢٠٠ .

(٣) سورة التوبة: الآية ٥١ .

(٤) ديوانه: ١٧٩ .

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ^(١) ، وقال تعالى: ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ ^(٢) وقال تعالى: ﴿ وَجَزَّاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾ ^(٣) .

كانت هذه الآيات المباركات معين كعب بن مالك في رثائه شهداء أحد ، فاقتبس قوله تعالى: ﴿ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ وجعله في صدر البيت الأول من قوله الآتي ليثبت أن جنان النعيم هي جزاء شهداء المسلمين ، واقتبس قوله تعالى: ﴿ بِمَا صَبَرُوا ﴾ في صدر البيت الثاني من قوله الآتي ليثبت صبر هؤلاء الشهداء في جهادهم الأعداء ، فقال ^(٤):

وَقَتْلَاهُمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ كِرَامِ الْمَدَاخِلِ وَالْمَخْرَجِ
بِمَا صَبَرُوا تَحْتَ ظِلِّ اللَّسْوَاءِ لَوَاءِ الرَّسُولِ بِذِي الْأَضْوَجِ
قال تعالى: ﴿ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ﴾ ^(٥) ، وقال تعالى: ﴿ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمِ لِمَنْ يَرَى ﴾ ^(٦) وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴾ ^(٧) .

في هذه الآيات المباركات نرى فيها مصير الكافرين في سعير الجحيم وما رزقهم فيها إلا الصديد ، فنجد هذا المعنى الذي حوته هذه الآيات قد اقتبسه الإمام علي عليه السلام ، في شعره الذي رد به على هند بنت عتبة التي شمتت باستشهاد حمزة بن عبد المطلب عليه السلام وجعله - أي المعنى الذي اقتبسه - مصير قتلى الكافرين ،

(١) سورة يونس: الآية ٩ .

(٢) سورة الحج: الآية ٥٦ ، ويُتظر: كذلك سورة لقمان: ٨ ، والصفات: ٤٣ ، والواقعة: ١٢ ، والقلم: ٣٤ .

(٣) سورة الانسان: الآية ١٢ .

(٤) ديوانه: ١٥٧ .

(٥) سورة ابراهيم: الآية ١٦ .

(٦) سورة النازعات: الآية ٣٦ .

(٧) سورة المطففين: الآية ١٦ .

فقال ^(١):

فَبَوَّيْتُ مِنْ جَهَنَّمَ شَرَّ دَارٍ عَلَيْهَا لَمْ يَجِدْ عَنْهَا مَجِيْدًا
وَمَا سَيَّانَ مِنْ هُوٍ فِي جَحِيْمٍ يَكُونُ شَرَابُهُ فِيهَا صَدِيْدًا
وَمَنْ هُوَ فِي الْجَنَانِ يَدْرُ فِيهَا عَلَيْهِ الرِّزْقُ مُعْتَبَطًا حَمِيْدًا

قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾ ^(٢) ، وقال تعالى:

﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ^(٣).

إن حشر المتقين غير حشر الكافرين ، فحشر الكافرين ينتهي بمصير اليم وعذاب شديد ، أما حشر المتقين فنهايته فرح وسرور ، إذ يدخلون الجنة التي أورثهم إياها تبارك وتعالى وفوداً كثيرة ، وهذا المعنى نجده في شعر حسان بن ثابت الذي رثى به الشهيد سعد بن معاذ ، الذي قُتل في سبيل الله تعالى فورث جنته مع وفود الشهداء الكريمة ، فقال ^(٤):

على مِلَّةِ الرَّحْمَنِ وَارِثِ جَنَّةٍ مع الشُّهَدَاءِ وَفْدُهَا أَكْرَمُ الْوَفْدِ

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا

خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ^(٥) ، وقال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ ^(٦).

من هاتين الآيتين الكريمتين اقتبس كعب بن مالك سلام الله وتحيته على أصحاب

الجنة وهم في النعيم مخلصون ، ليجعل سلامه تبارك وتعالى على حمزة في جنان الخلد ،

(١) ديوانه : ٧١ .

(٢) سورة مريم: الآية ٨٥ .

(٣) سورة المؤمنون: الآية ١٠ - ١١ .

(٤) ديوانه : ٤١٥ .

(٥) سورة الفرقان: الآية ٧٥ .

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٤٤ .

فقال (١):

عَلَيْكَ سَلَامٌ رَبِّكَ فِي جَنَانٍ مَخَالِطُهَا لَعِيمٌ لَا يَزُولُ

قال تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ (٢).

نزلت هذه الآية الكريمة في حق أصحاب رسول الله ﷺ الذين صدقوا مع الله تعالى ورسوله الكريم في جهاد الأعداء ، فما زالوا يقاتلون حتى نالوا الشهادة في سبيله تعالى بصدق وثبات (٣)، وهذه المعنى العظيم نجد حسان بن ثابت قد اقتبس في رثائه شهداء المسلمين ، فقال (٤):

دَعَا فَأَجَابُوهُ بِحَقٍّ وَكُلُّهُمْ مُطِيعٌ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَسَامِعٌ
فَمَا بَدَّلُوا حَتَّى تَوَافَوْا جَمَاعَةً وَلَا يَقْطَعُ الْأَجَالَ إِلَّا الْمَصَارِعُ

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ (٥) ، وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَكَبِّرْ أَفْذَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (٦).

من هاتين الآيتين المباركتين اقتبس المجاهد الشهيد عامر بن الاكوع معاني نشيده الجهادي الذي انشده وهو جندي في جيش رسول الله ﷺ المنطلق إلى غزوة

(١) ديوانه: ٢٠٠ .

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢٣ .

(٣) يُنظر: أسباب النزول: ٢٣٧ - ٢٣٩ ، لليسابوري .

(٤) ديوانه: ٢٦٧ .

(٥) سورة الفتح: من الآية ٤ .

(٦) سورة القرة: من الآية ٢٥٠ .

خَيْر ، فقال ^(١) :

فَأَنْزَلْنٰ سَكِيْنَةً عَلَيْنَا وَتَبَّتْ إِِلْقَادَامُ إِنْ لَا قِيْنَآ

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ ^(٢).

يخبرنا رب العزة والجلال أن ما ينطق به الرسول الكريم ﷺ لا يأتي به عن هوى نفسه ورايه ، بل إن ما ينطق به هو موحى إليه من الله تعالى عن طريق جبريل العليّ ^(٣) وهذه المنزلة العظيمة نجد أن كعب بن مالك اقتبسها في شعره الذي رثى به حمزة بن عبد المطلب ، فقال ^(٤):

رَسُولُ اللَّهِ مُصْطَبِرٌ كَرِيْمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ يَنْطِقُ إِذْ يَقُولُ

قال تعالى: ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جِئْتَانِ ﴾ ^(٥) وقال تعالى: ﴿ إِنْ لِلْمُتَّقِينَ مَقَارًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴾ ^(٦) وقال تعالى: ﴿ مُتَكِّينَ عَلَى رَقَبٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ ^(٧) . من هذه الآيات الكريمات التي وصفت نعيم الجنة الدائم ، نجد حسان بن ثابت قد أكد هذا النعيم بحق شهداء مؤتة ، فقال ^(٨):

فَصَارَ مَعَ الْمُسْتَشْهِدِينَ ثَوَابُهُ جَنَّاتٍ وَمَلَفَتْ الْحَدَائِقُ أَخْضَرُ

قال تعالى: ﴿ وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَانِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشُ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ فَمَآئِةً ﴾ ^(٩) خلق الله تعالى الملائكة وجعلهم لخدمته كل حسب واجبه المكلف به ، فينالك

(١) تيسرة النبوة: ٣/٣٤٢ ، وضقات ابن سعد: ٢/١١١ ، والإستيعاب: ٢/٧٨٦ ، والنظم: ٢/٨١٥ ، أسد الغابة: ٣/١٢٥ ، عيون الأثر: ٢/١٦٩ ، ويُظر: السابعة والنهاية: ٤/١٨٢ .

(٢) سورة الحم: ٣ - ٤ .

(٣) يُظر: روائع البيان لمعاني القرآن: ٥٢٦ .

(٤) ديوانه: ٢٠٠ ، ونسب إلى عبد الله بن رواحة ، يُظر: ديوانه: ٩٨ .

(٥) سورة الرحمن: الآية ٤٦ .

(٦) سورة البأ: الآية ٣٢ .

(٧) سورة الرحمن: الآية ٧٦ .

(٨) ديوانه: ٩٨ .

(٩) سورة الحاقة: الآية ١٧ .

ملائكة على جوانب السموات وحافاتهما ^(١) ، وقسم منهم يحمل العرش (عرش الرحمن) وهؤلاء الذين في أفق السموات نرى حسان بن ثابت قد اقتبس وجودهم وجعلهم في شعره شهداء ، يشهدون يوم القيامة على غدر هذيل بخبيب بن عدي الذين قتلوه غدرًا فسقط شهيدًا ، فقال ^(٢):

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمْ حِينَ الْمَلْحَكَةِ الْأَبْرَارُ فِي الْأُفُقِ

قال تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ ^(٣) ، وقال تعالى: ﴿ وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ لِّسَعِيهَا رَاضِيَةٌ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ ^(٤) من هذه الآيات الكريمات اقتبس حسان بن ثابت قوله تعالى: ﴿ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴾ في شعره الذي رثى به حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال ^(٥):

صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ مُكْرَمَةٍ الدَّاحِلِ

فنحن نلاحظ ومن خلال ما تقدم كثرة اقتباسات شعراء صدر الإسلام من القرآن الكريم . أمّا شعراء العصر الأموي فهم أيضا قد اقتبسوا من القرآن الكريم ما ينفعهم في إثبات ما يريدونه في أشعارهم ، لكن اقتباساتهم كانت أقل من اقتباسات شعراء صدر الإسلام ، فهناك إذاً فرق بينهما ، وهذا الفرق يمكن أن نرجع سببه إلى أن أغلب اقتباسات شعراء صدر الإسلام كانت لغرض إثبات الحقائق وردع الخصوم المشركين ، فمثلاً وجدنا قسماً من الشعراء قد اقتبسوا من آيات كثيرة تحدثت عن أجر الشهداء وثوابهم عند الله تعالى ، وكذلك تحدثت عن وصف الجنان ذات النعيم الخالد ، فمن هذه الآيات الكثيرة اثبتوا في أشعارهم أجر الشهداء وثوابهم ، وما أعده الله تعالى لهم من جنات ونعيم دائم ، وبهذه الأشعار اثبتوا لأعدائهم المشركين أن قتلهم شهداء ، وأن جزاءهم الجنة ، فذكروا لهم من أوصافها ونعيمها ، كما وجدنا قسماً آخر من الشعراء متأثراً بالآيات القرآنية

(١) يُنظر: روائع البيان لمعاني القرآن: ٥٦٧ .

(٢) ديوانه: ٢١٣ .

(٣) سورة الحاقة: الآيتين ٢١ و ٢٢ .

(٤) سورة العاشية: الآيات ٩ و ١٠ و ١١ .

(٥) ديوانه: ٣٢١ .

الكريمة التي بينت ضلال الكافرين ، وأنهم على طريق الهلاك ، ومن قُتِلَ منهم فمصيره إلى عذاب الجحيم ، حيث نار جهنم وبئس المصير ، فأفادوا من هذه الآيات ما يفيدهم في ردع خصومهم الكافرين وإعلامهم أنهم في ضلال مبين . فأغلب إقتباساتهم دارت حول هذه المعاني التي تطلبتُها ظروف عصرهم الذي شهد صراعاً عنيفاً جاهدوا فيه بالسيف واللسان .

أمّا قلة الإقتباس عند شعراء العصر الأموي فيما يخص الشهادة والشهيد ، فهو لا يعني عدم الاهتمام بهذا المنبع الثقافي العظيم واستغناءهم عنه ، بل نجدهم أكثر الشعراء إقتباساً من القرآن الكريم في اتجاهات أخرى للشعر ، أبرزها الشعر الديني ، لكن قلة الإقتباس في شعر الشهادة والشهيد ، يمكن أن نرجعه إلى وضع الدولة الإسلامية في العصر الأموي ، التي استقرت واتسعت وقويت ، ولم يكن أعداؤها عرباً مشركين وهم قلة مستضعفون ، بل أصبح عدوهم كثرة ضعيفة ، وهم أصبحوا قوة ساحقة ، فعدوهم الجديد الرومي أو الفارسي لا يحتاج إلى ردع باللسان ، لأن هذا السلاح لا يفهمه ولا يُجدي معه نفعاً ، بل كان السيف هو السلاح الفاعل والحسام مع هذا العدو الذي رعبه المسلمون .

وبعد هذا التعليل حول الفرق بين إقتباس العصرين ، نورد أهم الإقتباسات التي اهتمت بها من خلال شعرهم الخاص بموضوع دراستنا .

قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ ^(١) وقال تعالى: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ^(٢) وقال أيضاً: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ^(٣) .

تؤكد هذه الآيات الكريمات وغيرها كثير في القرآن الكريم ، أن الهلاك والموت والفناء هو مصير كل حي والإنسان على وجه الخصوص ؛ لأنه تعالى خلقه لعبادته ، وهذا المصير المحتوم لا يتحدد بعمر ولا بجنس ، بل الصغار والكبار ، والرجال والنساء ، وهذا المصير المحتوم نجده ختام مرثية زرارة بن حرب لابنه عبد العزيز الذي

(١) سورة آل عمران: من الآية ١٨٥ ، ويُطَر: المعنى نفسه في الانبياء: ٣٥ ، والعنكبوت: ٥٧ ، والحددة: ١١

(٢) سورة الرحمن: الآية ٢٦ .

(٣) سورة الزمر: الآية ٣٠ .

استشهد في قتاله الروم ، فهو يؤكد أَنَّ الكأس الذي شرب منه ابنه وهو الموت ، سوف يشرب منه كل الناس ، سواء كان صغيراً أم كبيراً ، قال ^(١) :
فَكُلُّ قَتَى شَارِبٌ كَأَسَاهُ فَاِمَّا صَغِيرًا وَاِمَّا كَبِيرًا

قال تعالى: ﴿ اَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ ^(٢) وقال أيضا: ﴿ قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٣) وقال : ﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ﴾ ^(٤).

من خلال هذه الآيات المباركات يخبرنا رب العزة والجلال أننا جميعا في قبضته ، فلا مفر لنا من الموت ، سواء بعدنا أم اقتربنا ، فالموت سوف يصل إلينا حتى ولو كنا في بروج مشيدة فأفاد مالك بن الربيع من هذه الآيات في رده على ابنته التي طلبت منه البقاء وعدم الذهاب إلى الجهاد خوفاً عليه من الموت ، فأجابها قائلاً: أنا في قبضة الإله ، والموت مصيري وحتمي سواء كنت منك قريباً ، أم بعيداً ، فقال ^(٥) :

أَنَا فِي قَبْضَةِ الْإِلَهِ إِذَا كُنْتُ (م) بَعِيداً أَوْ كُنْتُ مِنْكَ قَرِيباً

قال تعالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ ^(٦) وقال أيضا: ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٧) .

في هاتين الآيتين يدعو الله تعالى عباده المؤمنين إلى الجنة ، فدار السلام هي الجنة ^(٨) ، فهو يُرْغِبُهُمْ بما عنده ، فاستوحى بشر بن مطر الأزدي هذه الدعوة ورغب فيها

(١) تاريخ ابن عساكر : ٣٧٤/٥ .

(٢) سورة النساء: من الآية ٧٨ .

(٣) سورة السجدة: الآية ١١ .

(٤) سورة الجمعة: من الآية ٨ .

(٥) شعراء أمويون: ق ٢٥/١ .

(٦) سورة الأنعام: من الآية ١٢٧ .

(٧) سورة يونس: الآية ٢٥ .

(٨) يُنظر: روائع البياض لمعان القزاق: ١٤٤ - ٢١١ .

رفاقه المجاهدين وقال لهم اصبروا على جهاد الأعداء حتى تدخلوا ساحة السلام ، فقال (١):

صَبْرًا لِهَذَا يَا بَنِي الْكِرَامِ حَتَّى تَجْلُوا سَاحَةَ السَّلَامِ

قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (٢) .

في هذه الآية الكريمة يصف لنا المولى ﷺ إيمان يعقوب وثباته عندما فقد ابنه يوسف "عليهما السلام" فهو لا يشكو همه وحزنه إلى أحد سوى الله تعالى ، لأنه هو القادر على إجلاء هذا الهم والحزن ، فكانت هذه الآية علاجاً روحياً للشمرل الذي فقد أخاه وائلاً ، فصبر واحتسب وشكا إلى الله تعالى فقده فقال (٣):

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَا إِلَى النَّاسِ فَقَدَهُ وَلَوْعَةَ حُزْنٍ أَوْجَعَ الْقَلْبَ دَاخِلُهُ

قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴾ (٤). وقال أيضاً: ﴿ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّيْنَةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ (٥). وقال: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ (٦). وقال: ﴿ فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ ﴾ (٧) .

يخبرنا المولى ﷺ عن الأجر العظيم الذي جازى به عباده المؤمنين الصادقين ، إذ جعل الغرفة (وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها) (٨) جزاء لهم ، فأخذ الفرزدق هذا

(١) الفتح: ١٨٠/٨ .

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٦ .

(٣) شعراء أمويون: ٥٤١/٢ ق .

(٤) سورة الفرقان: الآية ٧٥ .

(٥) سورة الرمر: من الآية ٢٠ .

(٦) سورة العنكبوت: الآية ٥٨ .

(٧) سورة سبأ: من الآية ٣٧ .

(٨) روايع البيان لمعاني القرآن: ٣٦٦ .

الجزاء العظيم وأكد بحق الجراح بن عبد الله الحكمي ، إذ جعله رفيق المصطفى ﷺ في تلك الغرفة ، فقال (١):

رَفِيقُ نَبِيِّ اللَّهِ فِي الْعُرْفَةِ الَّتِي
إِلَيْهَا انْتَهَى مِنْ عَيْشِهِ كُلِّ نَاعِمٍ
وقال (٢):

فَأَصْبَحَ فِي الْقَوْمِ الَّذِينَ مُحَمَّدٌ
جَزَأُهُمْ بِمَا مُخْصِي السَّرَائِرِ عَالِمٌ
أُخْرُهُمْ وَمَنْ يَلْحَقُ بِهِمْ فَهُوَ سَالِمٌ

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٣).

تُبين لنا هذه الآية العظيمة قدرة المولى ﷺ عندما يقبض الأرواح من الأبدان عند انتفاء آجالها ، ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها ، ولم يحضر أجلها ، فهو يتوفاها في منامها فقط ويمسك الروح التي قضى على صاحبها الموت فلا يردها إلى البدن ، ويرسل الأخرى إلى بدننها عند اليقظة (٤) ، تأثر الفرزدق بهذه الآية الكريمة وأيقن أن نفس ابن أخيه محمد لن تُرسل ثانية إلى جسده ، لأنها من التي قضى على صاحبها الموت ، فقال (٥):

فَهَلْ تَرْجِعُ النَّفْسَ الَّتِي تَفَرَّقَتْ حَيَاةً صَدَى تَحْتَ الْقُبُورِ عِظَامُهَا
وَلَيْسَ بِمَحْبُوسٍ عَنِ النَّفْسِ مُرْسَلٌ إِلَيْهَا إِذَا نَفْسٌ أَتَاهَا حِمَامُهَا
قال تعالى: ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ (٦).

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٧٨٩/٢ .

(٢) انصهر نفسه: ٨٠٦ / ٢ .

(٣) سورة الزمر: الآية ٤٢ .

(٤) يُنظر: روائع البيان لمعاني القرآن: ٤٦٣ .

(٥) شرح ديوان الفرزدق: ٧٥٣/٢ .

(٦) سورة الطور: الآية ٨ .

إذا ما قضى رب العزة والجلال أمراً فإنه يكون بلمح البصر ، ولا راد لحكمه أو لقضائه إلا أن يأمر هو بذلك تبارك وتعالى ، فتأثر ابن عرس العبدى بهذا المعنى العظيم فأثبتته في شعره الذي رثى به أسد بن عبد الله ، إذ أكد أن موته هو قضاء الله تعالى ، وما لهذا القضاء من دافع ، فقال (١):

بِإِلَاحٍ وَافِقٍ الْمَقْدَارُ يَسْرِي وَمَا لِقَضَاءِ رَبِّكَ مِنْ دِفَاعٍ

هذا أهم ما اهتمنا إليه من إقتباسات شعراء هذا العصر فيما يخص شعر الشهادة والشهيد .

أما المنبع الثاني الذي اقتبس منه الشعراء المسلمون ، فهو حديث من لا ينطق عن الهوى ، إنه حديث نبينا محمد ﷺ الذي أوتي جوامع الكلم (٢) ، وتأتى له من أحكام المنطق وامتلائه ، وروعة الفصاحة وصفاء الأداء ، ما جعله مُنْزَهاً عن النقص الذي يعتور الفصحاء أحياناً من ضعف في الأحكام الصوتية والسلاسة المنطقية (٣) ، ومثلما تنوع الشعراء في إقتباسهم من القرآن الكريم ، تنوعوا من الحديث النبوي الشريف ، فكان إقتباسهم منه على ثلاثة أنواع (٤):

النوع الأول: إقتباس نص الحديث مع التغيير في بعض ألفاظه أو تراكيبه ، محافظة على وزن الشعر وقافيته .

النوع الثاني: اختصار كلمات الحديث الشريف بألفاظ قليلة تناسب طبيعة الشعر من دون أن تُخل بالمعنى ، أو يرمز الشاعر إلى الحديث بإشارة سريعة .

النوع الثالث: إقتباس نص الحديث الشريف كما هو دون أي تغيير في ألفاظه أو تراكيبه ، وهذا النوع صعب التحقيق .

(١) تاريخ الطبري: ٢٤٨/٨ .

(٢) صحيح ابن حبان : ١٩٧/١٢ .

(٣) يُنظر: تاريخ آداب العرب: ٢/٢٩٧ ، مصطفى صادق الرافعي ، احدث النبوي الشريف وأثره في الدراسات المعاصرة والحوية: ٦٢ ، د. محمد ضاري حمادي .

(٤) يُنظر: الإسلام والشعر: ٢٣٢ - ٢٣٥ ، د. سامي مكى العاني .

ومثلما تعاملوا مع القرآن الكريم نراهم قد اتبعوا النهج نفسه فلي إقتباسهم من الحديث الشريف ، فجميع إقتباساتهم كانت قائمة على استيعاب المعاني والأفكار التي حوتها هذه الأحاديث النبوية الشريفة .

قال رسول الله ﷺ يصف شجاعة حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه " والذي نفسي بيده إنه لمكتوب عند الله في السماء السابعة حمزة أسد الله وأسود رسوله " (١) .

فاقتبس الشعراء هذا الوصف في أشعارهم ، ليؤكدوا به شجاعة حمزة ، فهذا حسان ابن ثابت يقول (٢) :

على أسد الله الذي كان مدرها يذود عن الإسلام كل كفور
واقتبس الوصف نفسه كعب بن مالك فقال مخاطبا أخته صفية (٣) :

ولا تسأمي أن تطيلي البكا على أسد الله في الهزرة
وكذلك وصفه عبد الله بن رواحة ، فقال (٤) :

على أسد الإله غداة قالوا أحمزة ذاكم الرجل القتل ؟
وهذا الوصف أثبتته أيضا أبو الحكم بن سعيد بن يربوع عند ما عزى أخته نعمة التي استشهد زوجها شماس ، فقال (٥) :

قد كان حمزة ليث الله فاصطبري فذاق يومئذ من كأس شماس

وفي يوم بدر سمع أحد الصحابة صوتا في السماء يقول : (أقدم حيزوم) ، فقال رسول الله ﷺ : " ذلك جبريل " (٦) ، وقال رسول الله ﷺ : " ما رؤي الشيطان يوما هو فيه أصغر ولا أحر ولا أغبط منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما رأى من تنزل

(١) اسندوك: ٢١٩/٣ ، مجمع الزوائد: ٢٦٨/٩ .

(٢) ديوانه: ١٣٤ .

(٣) ديوانه: ١٧٥ .

(٤) ديوانه: ٩٨ .

(٥) السيرة النبوية: ١٧٧/٣ .

(٦) السنن: ٣٥٩/٢ سعيد بن منصور ، مسند الرازي : ٣٠٦/١ ، صحيح ابن حبان: ١١٥/١١ .

الرَّحْمَةُ وَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِلَّا مَا أُرِيَ يَوْمَ بَدْرٍ قَلِيلٌ وَمَا رَأَى يَوْمَ بَدْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ رَأَى جِبْرِيلَ يَزْعُ الْمَلَائِكَةَ^(١).

لقد أنزل الله تعالى ملائكته يقاتلون مع المسلمين يوم بدر^(٢)، ومن هؤلاء الملائكة جبريل عليه السلام، وهو ما أكدته الرسول الكريم ﷺ، فلما علم المسلمون بذلك فرحوا وعدّوا ذلك نصراً لهم، وفاخروا به، فهذا كعب بن مالك يؤكد في شعره الذي رثى به حمزة قتال جبريل عليه السلام الأعداء خلف لواء رسول الله ﷺ وهذا المعنى ما عرفه كعب إلا بعد ما سمع ما قاله رسول الله، فقال^(٣):

وَبَشِّرْ بَدْرَ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ
جِبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمَحَمَّدٌ

وعندما حاصر رسول الله ﷺ بني قريظة وأراد تحديد مصيرهم، اختاروا سعد بن معاذ ليصدر الحكم بحقهم، فقال رسول الله ﷺ: "إِنَّ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ قَالَ فَإِنِّي أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تَقْتُلَ مَقَاتِلَهُمْ وَتُسَبِّي ذُرَارِيَهُمْ، قَالَ: حَكَمْتُ بِحُكْمِ اللَّهِ أَوْ بِحُكْمِ الْمَلِكِ"^(٤).
إن تأكيد الله تعالى لحكم سعد كان مغفرة للمسلمين الذين أشادوا بهذا الحكم، فهذا حسان بن ثابت يُشيد بحكم سعد في بني قريظة الذي وافقه حكم الله تعالى، وهذا المعنى ما كان ليعرفه حسان لولا حديث رسول الله ﷺ، فقال^(٥):

بِحُكْمِكَ فِي حَيِّ قُرَيْظَةَ بِالَّذِي قَضَى اللَّهُ فِيهِمْ مَا قَضَيْتَ عَلَى عَمْدٍ
فَوَافَقَ حُكْمَ اللَّهِ حُكْمُكَ فِيهِمْ وَلَمْ تَعْفُ إِذْ ذُكِّرْتَ مَا كَانَ مِنْ عَهْدٍ

وقال رسول الله ﷺ عندما استشيد سعد لأمه: "أَلَا يَرَقَا دَمْعُكَ وَيَذْهَبُ حَزْنُكَ، فَإِنَّ إِبْنَكَ أَوَّلَ مَنْ ضَحِكَ اللَّهُ لَهُ وَاهْتَرَأَ لَهُ الْعَرْشُ"^(٦).

(١) المطا: ٤٢٢/١.

(٢) يُنظر: سورة آل عمران: الآيات ١٢٤ - ١٢٥، و يُنظر: سورة الانعام: الآية ٩.

(٣) ديوانه: ١٦٠.

(٤) صحيح البخاري: ١٣٨٤/٤.

(٥) ديوانه: ٤١٥.

(٦) مسند الامام احمد: ٤٥٦/٦.

فرثاه رجل من الأنصار وقد اقتبس ما قاله رسول الله ﷺ ، فقال (١) :

وَمَا اهْتَزَّ عَرْشُ اللَّهِ مِنْ مَوْتِ هَالِكٍ سَمِعْنَا بِهِ إِلَّا لِسَعْدِ أَبِي عمرو

قال رسول الله ﷺ ، موصيا قادة مؤتة : " إِنَّ أَصِيبَ زَيْدَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى النَّاسِ ، فَإِنْ أَصِيبَ جَعْفَرُ فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى النَّاسِ " (٢) . وصدق المصطفى فقد استشهد هؤلاء القادة الثلاثة فهذا حسان بن ثابت يقتبس معنى التابع لهؤلاء الشهداء الذين أمرهم رسول الله ﷺ ، وجعل أولهم زيدا ، ثم جعفراً ، ثم عبد الله ، فقال حسان وقد تمثل ذلك كله (٣) :

فَلَا يُعِيدُنَّ اللَّهُ قَتْلَى تَتَابَعُوا بِمُؤْتَةِ مِنْهُمْ ذُو الْجَنَاحَيْنِ جَعْفَرُ
وزيدٌ وعبدُ اللَّهِ حِينَ تَتَابَعُوا جَمِيعاً وَأَسْبَابُ الْمَنِيَةِ تَخْطِرُ

وفي الشطر الثاني من البيت الأول نجد أن شاعرنا حسان قد اقتبس وصف جعفر بذئ الجناحين من حديث رسول الله ﷺ الذي وصف ثواب جعفر في الجنة فقال : " ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك جعفر " (٤) .

وهذا الحديث نجده أيضاً قد اقتبس منه الأجر الذي ناله جعفر في الجنة في قول إعرابي يخاطب ابنه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، قال (٥) :

أَبَا جَعْفَرٍ إِنَّ الْجِيَادَ تَوَاكَلَتْ فَأَدْرَكْتَ عِنْدَ الْحِضَارِ فَتَوَرَّ
أَبَا جَعْفَرٍ يَا ابْنَ الشَّهِيدِ الَّذِي لَهُ جَنَاحَانِ فِي أَعْلَى الْجَنَانِ يَطِيرُ
أَبَا جَعْفَرٍ صَنِّ الْأَمِيرُ بِمَالِهِ وَأَنْتَ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ أَمِيرُ

قال رسول الله ﷺ : " حَفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحَفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ " (٦) .

(١) السيرة النبوية: ٢٦٣/٣ ، الاستيعاب: ٦٠٥/٢ .

(٢) صحيح البخاري: ٥٨/٣ .

(٣) ديوانه: ٩٨ .

(٤) مجمع الروائد : ١٦٦/٩ .

(٥) الأخبار الموقيات: ٨٠ - ٨١ ، للزبير بن نكار ، تحقيق د. سامي مكي العلي .

(٦) صحيح مسلم: ٢١٧٤/٤ .

يُبين لنا رسول الله أن طريق الجنة صعب ومحفوف بالمصاعب التي تتطلب الصبر والثبات وهذا المعنى نجده مقتبسا في قول ربيعة بن معمر وهو يحرض المؤمنين على مواصلة الجهاد حتى ينالوا الجنان .

وَلِلَّهِ فِي عَرْضِ السَّمَوَاتِ جَنَّةٌ وَلَكِنَّهَا مَخْفُوفَةٌ بِالْمَكَارِهِ (١)

قال رسول الله ﷺ في فضل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْحَقَّ عَلَى قَلْبِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . أَفَادَ حَسَانَ بْنِ ثَابِتٍ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ فِي رِثَائِهِ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَمَا أَكَّدَ مَعْرِفَتَهُ لِلْحَقِّ ، فَقَالَ (٢) :

مُطِيعٌ لِأَمْرِ اللَّهِ بِالْحَقِّ عَارِفٌ بَعِيدُ الْأَنَامِ عِنْدَهُ لَقَرِيبُ

قال رسول الله ﷺ في فضل زيد بن حارثة : " كَانَ لِمَنْ أَحَبَّ النَّاسَ إِلَيَّ " (٣) . اقْتَبَسَ حَسَانُ هَذَا الْحَبِّ فِي شَعْرِهِ الَّذِي رَثَى بِهِ قَادَةَ مَوْتَهُ وَمِنْهُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَبِيبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ (٤) :

حِبِّ خَيْرِ الْأَنَامِ طَرَأَ جَمِيعاً سَيِّدِ النَّاسِ حُبُّهُ فِي الصُّدُورِ

قال رسول الله ﷺ : " عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ " (٥) ، وَقَالَ أَيْضاً : " اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتَعْمَلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَانَ رَأْسُهُ زَبِيْبَةً " (٦) ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَا اللَّهَ ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي " (٧) .

(١) ترويح الشام: ٢٦٨/١ .

(٢) صحيح ابن حبان : ٣١٢/١٥ .

(٣) ديوانه : ٢٧٣ .

(٤) صحيح البخاري : ٢٤٤٤/٦ .

(٥) ديوانه : ٢٩٥ .

(٦) صحيح مسلم : ١٤٦٩/٣ .

(٧) سنن ابن ماجه : ٩٥٥/٢ .

(٨) صحيح مسلم : ١٤٦٦/٣ .

في هذه الأحاديث الشريفة يبين لنا رسول الله ﷺ وجوب طاعة أمير المسلمين ؛
لأنه يحافظ على كلمتهم ويوحد صفهم على أن تكون طاعته مقرونة بطاعة الله تعالى ،
فإن كانت كذلك وجبت على كل مسلم لأنه يأمر بحكم الله تعالى ، وطاعته تعني طاعة
الله تعالى ، ونجد هذه الطاعة مقتبسة في قول كعب بن مالك إذ يقول (١) :

قَوْمٌ يَرُونَ الْحَقَّ نَصْرَ أَمْرِهِمْ وَيَرُونَ طَاعَةَ أَمْرِهِ إِيْمَانًا

هذا أهم ما اهتدى إليه البحث من إقتباسات شعراء هذا العصر من أحاديث المصطفى
ﷺ ، أما في العصر الأموي فإن البحث اهتدى إلى حديث وأحد اقتبسه أحد شعراء هذا
العصر ، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت الملقب بالأحوص ، جده
عاصم بن ثابت حمى الدبر أي النحل وقد تقدم خبره ، وخال أبيه حنظلة بن أبي عامر
الذي قُتل يوم أحد (٢) ، فقال المصطفى ﷺ في حقه : " إِنَّ صَاحِبَكُمْ لَتَغْسِلُهُ الْمَلَائِكَةُ " (٣) ،
لأنه خرج ملبياً نداء الجهاد وهو جنب ، فافتخر بهما الأحوص فقال (٤) :

فَأَنَا ابْنُ الَّذِي حَمَتْ لِحْمَهُ الدَّبَّ رُقَيْلُ اللَّيْحَانِ يَوْمَ الرَّجِيعِ
غَسَلَتْ خَالِي الْمَلَائِكَةُ الْأَبَّ رَارُمَيْتَا طُوبَى لَهُ مِنْ صَرِيعِ

فنحن نلاحظ إقتباس هذا الشاعر لحديث المصطفى ﷺ في حق خاله وعده مفخرة له
إن هذه القلة أو الأنعام عند شعراء هذا العصر لا يعني عدم اهتمامهم بهذا النبع
النقابي الثاني العظيم ، بل إن الدارس لاتجاهات شعرهم الأخرى يجد اهتمامهم بهذا النبع
وإقتباسهم منه (٥) ، أما سبب هذا الفرق فإن البحث يمكنه القول ومن خلال الأحاديث التي
اهتدى إليها عند شعراء صدر الإسلام ، إنه كان معظمها أحاديث قيلت في حق الصحابة
ﷺ ، سواء في حياتهم أم بعد استشهادهم ، فلما رأى شعراء المسلمين اهتمام

(١) ديوانه : ٢١٩ .

(٢) ينظر : الاغاني : ٢٢٤/٤ .

(٣) البيان والتعريف : ٢٨٦/١ .

(٤) شعره : ١٥٧ ، جمعه وحققه عادل سليمان جمان .

(٥) ينظر : الإسلام والشعر : ٢٣٣ ، د. سامي مكي العاني ، وينظر : شعر الفرزدق بين أصداء الجاهلية وصوت الإسلام :

١٣٥ - ١٣٦ د. محمد كرم أحمد .

المصطفى ﷺ لهؤلاء الشهداء وثناءٌ عليهم وهو الصادق المصدوق ، اقتبسوا قوله الشريف فزينوا به أشعارهم حتى تكون أصدق الأشعار ، أمّا في العصر الأموي فإن معظم المسلمين لم يدركوا المصطفى ﷺ ، ولم تكن في حقهم أحاديث شريفة ، وحتى الحديث الذي يخص هذا العصر فهو قليل في حق شهيد من صدر الإسلام ، لكن الشاعر الذي افتخر به هو أموي ، خلافا لعصر صدر الإسلام الذي كثرت فيه أحاديث المصطفى ﷺ في حق أصحابه الكرام الذين كانوا خير صحبٍ لخير نبي .

المبحث الخامس الصورة الشعرية

حظيت الصورة الشعرية باهتمام كبير من لدن باحثينا القدامى والمحدثين ، لأنها أفضل وسيلة لنقل ما تحمل الأشعار من مضامين تصويرية إلى ذهن المتلقي ، لكي يتمتع بالأفكار والمشاعر التي تحملها هذه الصور ، والتي قد يستجيب لمضامينها الجمالية والإبداعية ، فهي إذاً تحتل مكانة مهمة في بناء النص الشعري ^(١) ، يقول الجاحظ : (إنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير) ^(٢) ، فالجاحظ عدَّ عملية نظم الشعر عملية صناعة وإبتكار ، وهذه الصناعة لا تكتمل عنده جودتها ما لم يتواجد التصوير فيها ، ومما يؤكد كلامه هذا ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني عندما قال: (إنَّ سبيلَ الكلام سبيلَ التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب ، يُصاغ منهما خاتم أو سوار) ^(٣).

وتقوم الصورة الشعرية على أساس الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة ^(٤) ، ولا تقف عند حدود الرؤية البصرية ، بل تتعداها إلى خيال الشاعر الواسع وقدرته على تشكيل صور رائعة ، فضلاً عن صور أخرى متعارف عليها وهي الصور الناتجة عن استخدام فنون بلاغية متنوعة ^(٥) ، فهي - أي الصورة - على ما تقدم (تشكيل لغوي نابع من المخيلة المبدعة تتفاوت عناصرها بين الحسية والمعنوية ، ...) ^(٦) ، والشاعر حين يرسم الصورة الشعرية فهو يُعبر عن إدراكه للحقائق بالرؤية البصرية أو بالمحاكاة ، سواء بالوقوف عند حدود الظواهر ونقلها بواقعية مسطحة أو بإعطاء الصورة المنكبة

(١) يُنظر: بناء القصيدة النقي في النقد العربي القديم والمعاصر: ٤٥ ، ٥٣ ، مرشد الزبيدي .

(٢) الخيران: ١٣٢/٣ ، للجاحظ ، حققه وشرحه عبد السلام محمد هارون .

(٣) دلائل الإعجاز: ٢٥٥ ، عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق د. محمد عبد المنعم خفاجي .

(٤) يُنظر: الصورة الشعرية: ٢١ ، سي - دي لويس ، ترجمة د. احمد نصيف الجنابي ، مالك مسري ، سلمان حسن إبراهيم ، مراجعة د. عواد غروان إسماعيل .

(٥) يُنظر: الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري: ٣٠ ، د. علي البطل.

(٦) الصورة انغارية في شعر المتنبي: ٢٨ ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب - بغداد - حليل رشيد فالح - ١٩٨٥ .

روحاً تُجسّدُ أماننا حضوراً جديداً ، أو يتحدّ فيها الجزئي بالكلّي ويؤفّق فيها بين المتناقضات ^(١) .

وكما أوضحنا ومن خلال كلام الجاحظ فإن الصورة تُعدُّ عنصراً مهماً من عناصر الفن الشعري ، وتُعدّ في كثير من الأحيان مقياساً لجودة الشاعر وقدرته على نظم الشعر التصويري ^(٢) ، فالشعر من أقدم الفنون الجميلة القادرة على استيعاب الصور لانه بالألفاظ يُعبّر عن جميع أنواع الصورة الساكن فيها والمتحرك ^(٣) .

ومرّ بنا اهتمام النقّاد بالحديث عن الصورة الشعرية دون أن يُطلقوا عليها مصطلح (الصورة الشعرية) ، بل كانوا يستخدمون مصطلح المعنى أو المعاني للدلالة على الصورة ^(٤) ، ولهذا نجد أنّ حازم القرطاجني يُشير إلى أنّ المعاني هي الصورة الحاصلة في أذهان المستمعين عن الأشياء الموجودة التي يُمكن أن تُدرك ، وهذه الصورة الذهنية تُشكّل بفعل الألفاظ الموحية والمعبرة عن هذه الصور التي هي وسيلة الشاعر لإفهام المستمعين ^(٥) .

وما وجدناه من صور شعرية ذات صلة بموضوعنا هي صور كونتها الفنون البلاغية التي استخدمها الشعراء ، كالتشبيه والاستعارة والكناية وغيرها ، والقصد منها كما ذكرنا هو إفهام السامع والتأثير فيه عن طريق المعاني الواضحة والقريبة إلى ذهن السامع ، ومما يزيد بها وضوحاً ما يضيفه عليها الشاعر من مسحة جمالية ^(٦) .

غير أنّ هذا لا يمنع من وجود صور نفسية وعقلية كونتها مخيلة الشاعر دون استخدام فنون بلاغية ^(٧) ، وعودة إلى بدء إلى فنون البلاغة التي استخدمها شعراؤنا في تشكيل صورهم ، فكان التشبيه في مقدمة هذه الفنون لأنّه أكثر الفنون استعمالاً لا في

(١) الصورة الشعرية ونماذجها في إبداع أبي نواس: ٢١ ، سامين سيمون عساف .

(٢) يُنظر: الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام ، دراسة فنية فكرية: ٣٥٢ .

(٣) يُنظر: تمهيد في النقد الحديث: ١٩١ ، رور غريب .

(٤) يُنظر: الصورة الفنية في التراث القدي والبلاغي: ٣١٣ ، د. جابر عصفور ، ودبر الملاك: ٢٢١ ، د. محسن طيمش .

(٥) يُنظر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٨ - ١٩ .

(٦) يُنظر: فنون بلاغية: البيان البديع: ٢٧ ، د. أحمد مطلوب .

(٧) يُنظر: التفسير النفسي للأدب: ٨٩ ، د. عر الدين إسماعيل .

الشعر فقط، بل في سائر كلام العرب^(١)، وذلك لأنه من (أقدم صور البيان ووسائل الخيال، وأقربها إلى الفهم والأذهان)^(٢)، فهو (المجال الرحب لانسياب الصورة واستحداثها في الشكل ، بل هو الكاشف عن حقيقة الصورة الأدبية ، ولعله من أهم مقومات الشكل الشعري)^(٣)، وأغلب تشبيهاتهم التي جاءت في أشعارهم اتسمت بالعفوية واستوعبوا في (نماذج كثيرة مظاهر الكون والحياة وعوالم الطبيعة ، وهيات المناخ في خضم مشاهد الدنيا)^(٤). فهذا حسان بن ثابت يشبه جعفر بن أبي طالب عليه السلام ، بلون البدر، فقال^(٥):

أَغْرُ كَلَوْنِ الْبَدْرِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ شَجَاعٌ إِذَا سَمِ الظَّلَامَةُ مَجَسَّرُ

وهذا زياد بن أبي سفيان يتسلم الراية من عمرو بن العاص عليه السلام ويتقدم الصفوف مرتجزاً نشيداً جهادياً ، فهو من ذروة آل هاشم الذين يشبههم بالبذور الطوالع فقال^(٦):

أَمَامَ الْوَعَى مِنْ آلِ ذُرْوَةِ هَاشِمٍ حُمَاةَ الْبَرَائَا كَالْبُدُورِ الطَّوَالِعِ

وجاءت في أشعارهم تشبيهات كثيرة مستوحاة من واقعهم المعاشي ، فشباب المسلمين الذين نالوا شرف الشهادة يوم أحد ، تأثر لفقدهم حسان بن ثابت وتشبيهم بالمصابيح ، فقال^(٧):

لَهْفِي لِشَبَابٍ رَزَيْنَاهُمْ كَأَنَّهُمُ الْمَصَابِحِ

ولكي يؤكد الشعراء شجاعة شيدائهم فإنهم تشبهوهم بالأسد^(٨)، وبفحول الإبل^(٩) والجل الذي هو رمز الثبات والصمود ، كما شبهوا الفارس في شراسته بالضباع الجياع

(١) يُنظر: الكامل في اللغة والأدب: ١٣٢/٣ .

(٢) فنون بلاغية: ٢٧ .

(٣) الصورة الأدبية في الشعر الأموي: ٤٤ .

(٤) أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة: ٨٠ ، د. محمد حسين علي الصغير .

(٥) المصدر نفسه: ٩٨ .

(٦) فروع الشام: ٢٢٥/٢ .

(٧) ديوانه: ٤٥١ .

(٨) يُنظر: ديوان عبد الله بن رواحة: ٩٨ ، وديوان حسان: ١٣٤ ، ٣٢١ ، ٤٢٢ ، وديوان كعب بن مالك: ١٦٠ -

١٧٥ ، وفروع الشام: ١٨٧/٢ ، ٢٦٦ ، ٢٨٤ ، ومعجم ديوان أشعار النساء: ١٠٥ .

(٩) يُنظر: ديوان كعب بن مالك: ٢٠٥ ، والمصدر نفسه: ١٦٠ .

للأكل كما تشتهي الإبل الماء (١).

كما شبهوا شجاعتهم بالطيور الجوارح ، ومنها الصقر الذي جعله حسان بن ثابت مشبهاً به في رثائه لخبيب بن عدي ، فقال (٢) :

صَقْرًا تَوَسَّطَ فِي الْأَنْصَارِ مَنَصِبُهُ حُلُوَ السَّجِيَةِ مَحْضًا غَيْرَ مُؤَثَّبٍ

وبالمقابل فانهم رسموا لنا صورة أعدائهم وهم يجرون أذيال الهزيمة ، فشبهوا هزيمتهم بالنعام الشارد ، والنعام دون غيره لأنه كان يُضْرَبُ به المثل في الجبن والهزيمة فليل (أنفر من نعامه) (٣) ، ولهذا نجد كعب بن مالك يصور لنا فلول المشركين المنهزمة وخيول المسلمين تلاحقهم كأنهم نعام شرَّد ، فقال (٤) :

فَأَتَاكَ فُلُ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ وَالْحَيْلُ تُثْفِنُهُمْ نَعَامٌ شَرَّدُ

أمَّا ضرار بن الأزور فإنه عزم على تفريق جمع المشركين وجعلهم مشتتين في ساحة المعركة كأنهم أغنام تائهة في صحراء مقفرة ، فيمضي فيهم تقتيلاً وتمزيقاً ، كأنه الليث الغضنفر وقد ملك جموع الأغنام الشاردة ، فقال (٥) :

وَالْأَغْنَامُ مَضِينَ بِقَفْرَةٍ وَأَصْبَحَ مَوْلَاهَا عَنِ السَّغْيِ نَائِمًا

وَقَدْ مَلَكَ اللَّيْثُ الْغَضَنْفَرُ جَمْعَهَا وَأَصْبَحَ فِيهَا بِالْمَخَالِبِ حَاطِمًا

وشبه كعب بن مالك العبد الأسود وحشياً قاتل حمزة - عليه السلام - بالجمال الأدعج وشبهه حربته بالشهاب الملتهب ، فقال (٦) :

فَلَأَقَاهُ عَبْدٌ بَنِي نُوَيْلٍ يُرَبُّ كَالْجَمَلِ الْأَدْعَجِ

فَأَوْجَرَهُ حَرَبَةٌ كَالشَّهَابِ تَلْتَبُّ فِي اللَّهَبِ الْمَوْهَجِ

(١) بُحْر: ديوان اهدليز: ١٥٠/٢ .

(٢) ديوانه: ٣٧٠ .

(٣) المستقصى في أمثال العرب: ١/٣٩٧ جاز الله الرمحي .

(٤) ديوانه: ١٦١ .

(٥) فترج الشام: ٢/٢٤٤ .

(٦) ديوانه: ١٥٨ .

ومثلما أكدوا شجاعة الشهداء بتشبيهاتهم المختلفة ، نراهم قد أكدوا كرمهم أيضا ،
فهذا حسان بن ثابت يؤكد كرم حمزة بن عبد المطلب ﷺ عندما شبهه
بالبحر في سعة عطائه ، فقال (١):

بَحْرٌ فَلَيْسَ يُغْبُ جَاراً مِنْهُ سَيْبٌ أَوْ مَنَادِحُ

كما نجد في أشعارهم تشبيهات بينوا فيها مُصاب المسلمين وما حلَّ بهم بعد فَقْدِهِم
خلفاء المسلمين ﷺ ، فعندما استشهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ بكينه نساء
الحي بكاء الشجيات ، وعزمن على خمس وجوهن كالدنانير نقيات (٢):

سَيِّكِكَ نِسَاءُ الْحَيِّ سَيِّكِكَ نِسَاءُ الْحَيِّ
وَيَخْمُشْنَ وَجُوهَهَا كَالْـ وَيَخْمُشْنَ وَجُوهَهَا كَالـ
دَنَانِيرِ نَقِيَّاتٍ دَنَانِيرِ نَقِيَّاتٍ

وعندما استشهد حمزة ﷺ أصبح حسان وحيدا كالعود الذي أزالوا عنه أغصانه
وأشواكه فأصبح وحيدا ليس معه أحد ، فقال (٣):

يَا حَمَزَ قَدْ أُوحِدْتَنِي كَالْعُودِ شَذْبُهُ الْكَوَافِحُ

ويطلب من عينيه أن تسح دموعا على فقد خبيب مثل قطع اللؤلؤ ، فقال (٤):

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَرَقًا مَدَامِعُهَا سَحَا عَلَى الصَّدْرِ مِثْلُ اللَّوْلُؤِ الْقَلِقِ

ويحزن خالد بن الوليد ﷺ على استشهاده زياد بن أبي سفيان ، ويشبه دموعه
بالسحاب لكثرة بكائه عليه ، فأحرق الفراق فرحته كما تحرق النار الحطب وفقد صوابه
من شدة حزنه عليه ، فقال (٥):

هَوَامَ دُمُوعِي كَالسَّحَابِ تَهْمَعُ وَقَلْبِي مِنْ فَقْدِ الْأَجَّةِ يَفْزَعُ

(١) ديوانه : ٤٥١ .

(٢) تاريخ الطبري : ٢٨/٥ .

(٣) ديوانه : ٤٥٢ .

(٤) استشعر معنه : ٢١٣ .

(٥) فتوح الشام : ٣٠٠/٢ .

لِفَقْدِ زِيَادَ أَحْرَقَ الْبَيْنُ مُهْجَتِي وَغَابَ صَوَابِي وَهُوَ فِي الْأَرْضِ يَصْرَعُ

كما صوروا لنا حُزنَ مظاهر الكون على فقد شهداء المسلمين ، فالأرض أظلمت وأسودَّ نور القمر الخارج من السحاب فهو أسود لا يرى منه نورٌ ، هذا ما تصوره حسان وهو يرثي حمزة ؓ ، فقال ^(١):

أَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِفَقْدَانِهِ وَأَسْوَدَ نُورُ الْقَمَرِ النَّاصِلِ

كما استعان الشعراء بالاستعارة في شرح المعنى ، لأنها تفعل في النفس ما لا تفعل الحقيقة فهي تُفيد تأكيد المعنى والمبالغة فيه ، كما إنها ذات قدرة على إيجاز المعنى وتحسينه ، ثم بعد ذلك كله هي طريق لتوليد المعاني ^(٢) ، فهي من (محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ، ونزلت موضعها) ^(٣) ، فمن ذلك قول خالد بن الوليد ؓ ، في رثائه لابنه سليمان ^(٤):

سَأَبْكِي عَلَيْهِ كُلَّمَا أَقْبَلَ الْمَسَا وَمَا ابْتَسَمَ الصُّبْحُ الْمُنِيرُ وَمَا اسْتَهَلَّ

فهو هنا قد استعار صفة من صفات الإنسان وهي (الابتسامة) وأضافها إلى الصبح المنير . وهذا النوع من الاستعارة يُسمى بالاستعارة المكنية ، وهي أن يُذكر المشبه ويحذف المشبه به مع وجود ما يُثبت للمشبه أمر مُختص بالمشبه به ^(٥) ، أو هي بعبارة أخرى إحياء الجمادات والمعنويات وتشخيصها بإضافة صفة من صفات الأحياء أليهما . فالشماخ بن ضرار أضاف صفة الإرواء إلى سيف بُكير بن شداد الليثي ورمحه لكي يُبين لنا شجاعة هذا الشهيد ، فيرتوي سيفه ورمحه من دماء الأعداء بما يعلنانه بالأعداء من تمزيق وطعن ، والإرواء كما هو معلوم من صفات الأحياء التي تعطش فتروي عطشها بما تشربه من الماء ، فقال ^(٦):

فَتَيَّ كَانَ يَرْوِي سَيْفَهُ وَسِنَانَهُ مِنْ الْعَلَقِ الْآتِي لَدَى الْحَجَرِ التَّالِي

(١) ديوانه: ٣٢١ .

(٢) يُنظر: البلاغة والتطبيق: ٣٦٥ ، د. احمد مطلوب د. حسن البصر .

(٣) العدة: ٢٦٨/١ .

(٤) فتوح الشام: ٢٦٧/٢ .

(٥) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٣٠٩/٢ ، ويُنظر: انبياء في علم المعاني والبدع والبيان: ٢٢٧ .

(٦) ديوانه: ٤٥٦ .

ولم ينسَ الشعراء أن يسلكوا طريق الكناية من أجل (إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع في اللغة ، ولكن يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود ، فيوميء به إليه ، ويجعله دليلاً عليه) (١) .

فمن ذلك شعر حسان بن ثابت الذي رثى به أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ فقال (٢) :

فَجَعْنَا قَيْرُوزُ ، لَا دَرَّ دَرُهُ بِأَبْيَضَ يَتَلَوُ الْمُحْكَمَاتِ مُنِيبَ

فهو لا يقصد بـ (أبيض) بياض اللون ، بل هي كلمة كنى بها عن نقاء عرضه من الدنس والعيوب . لأن العرب منذ القدم كانت إذا قالت فلان أبيض أو فلانة بيضاء فالمعنى ما ذكرنا من نقاء العرض مما يشوبه (٣) ، فمن ذلك قول زهير يمدح رجلاً (٤) :

أَعْرُ أَبْيَضُ ، قَيَاضٌ ، يُفَكِّكُ عَنْ أَيْدِي الْعَنَاءِ ، وَعَنْ أَغْنَائِهَا الرَّبَقَا

وقال أيضاً (٥) :

وَأَبْيَضُ قَيَاضٍ ، يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفِيهِ ، مَا تُعْبُ قَرَاضِلُهُ

كما نجد حسان قد كنى بهذه الكلمة عن نقاء عرض حمزة ، فهو في الذروة الرفيعة من بني هاشم (٦) ، فقال (٧) :

أَبْيَضُ فِي الذَّرْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ لَمْ يَمِرْ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ

وحرص شعراء المسلمين على تزيين أشعارهم بفنون الأداء الصوتي التي من شأنها إثارة الخيال واستجلاء المعاني (٨) ، ومن هذه الفنون الطباق والجناس .

(١) دلائل الإعجاز: ١٠٥ .

(٢) ديوانه: ٢٧٣ .

(٣) يُنظر: اللسان: ٩٩٠/٢ .

(٤) ديوانه: ٥٩ ، تحقيق وشرح كرم البستاني .

(٥) ديوانه: ٩٥ .

(٦) يُنظر: شرح ديوان حسان: ٣٨٦ الهامش .

(٧) ديوانه: ٣٢١ .

(٨) يُنظر: حرس الألفاظ ودلائلها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٢٧٣ ، د. ماهر مهدي هلال .

أما الطباق (فهو الجمع بين المتضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة) ^(١) ، وهو ما يُسمى بطباق الإيجاب ^(٢) ، فمن ذلك قول حسان في رثاء جعفر بن أبي طالب إذ طابق بين العزِّ والذلِّ في الشطر الثاني ، فقال ^(٣) :

رُزْعًا وَأَكْرَمَهَا جَبِيْعًا مُحْتَدًا
وَأَعَزَّهَا مُتَظَلِّمًا ، وَأَذَلَّهَا

وكذلك قول أبي محجن النّفقي في رثاء أبي عبيدة ^(٤) :

يَوْمَ يَوْمٍ أَبِي جَبْرِ وَإِخْوَتِهِ
وَالنَّفْسُ نَفْسَانٍ مِنْهَا الْمَوْلُ وَالشَّفَقُ

إذ طابق بين الهول والشفق .

أما الجناس ، فهو تشابه الكلمتين في اللفظ ^(٥) ، وهو على نوعين :

الأول: ويسمى (الجناس التام وهو أن يتفقا في أنواع الحروف ، واعدادها ، وهيئاتها وترتيبها) ^(٦) ، فمن ذلك الجناس الذي ورد في شعر كعب بن مالك الذي رثى به شهداء مؤتة ، فقال ^(٧) :

حَتَّى تَفَرَّجَتْ الصُّفُوفُ وَجَعْفَرُ
حَيْثُ التَّقَى وَعَثُ الصُّفُوفُ مُجَدَّلُ

فهو هنا قد جانس بين الصفوف الأولى والثانية ، فالجناس هنا كان بين اسمين وهذا النوع من الجناس يُسمى مماثلاً ^(٨) . وكذلك نجد الأمر نفسه في شعره عبد الله بن رواحة الذي رثى به حمزة ^(٩) فقال :

أُصِيبَ الْمُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا
هُنَاكَ وَقَدْ أُصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ

(١) الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ٣٣٤ .

(٢) يُنظر: المصدر نفسه: ٢/ ٣٣٦ .

(٣) ديوانه: ٣٢٣ .

(٤) ديوانه: ٢٩ .

(٥) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ٣٨٢ ، ويُنظر: التبيان في علم المعاني والديع والبيان: ٤٨٠ .

(٦) المصدرين أنفسهما .

(٧) ديوانه: ٢٠٥ .

(٨) يُنظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ٣٨٢ .

(٩) ديوانه: ٩٨ .

ومن الجنس التام أو المتمثل الذي ورد في أشعارهم ما ورد في شعر حسان بن ثابت الذي رثى به ثالث قادة مؤتة ، عبد الله بن رواحة ، قال ^(١) :

وَأِنْ ضَاقَ بِالْمَوْتِ صَدْرُ امْرِئٍ فَصَدْرُكَ بِالْمَوْتِ لَمْ يَخْرُجْ

فالجnas واضح بين شبه الجملة (بالموت الأولى والثانية) فكلاهما جاء في وسط

الكلام .

أما النوع الآخر من الجنس فهو الجنس المختلف ، فقد يكون الاختلاف في الحركة فقط ، نحو قول حسان في رثاء سليط بن قيس النجاري ^(٢) :

فَأَيُّ لَبَاكِ مَا حَيَّتْ وَلَوْ بَكِي عَلَى الْمَيِّتِ مَيِّتٌ جُدْتُ بِالذَّمْعِ فِي قَبْرِ

فجانس بين (الميت الأولى المكسورة والثانية المضمومة) .

وكذلك الأمر نفسه نجد في شعر الحطيئة الذي رثى به الفاروق عمر بن الخطاب ،

فقال ^(٣) :

وَلَا تَبْكِي مَيِّتًا بَعْدَ مَيِّتٍ أَحَبَّهُ عَلِيٌّ وَعَبَّاسٌ وَآلُ أَبِي بَكْرٍ

(فالميت الأولى مفتوحة والثانية مكسورة) .

وقد يكون الاختلاف بحرف واحد بين اللفظتين مع تقارب المخرج ويسمى هذا النوع بالمضارع ^(٤) .

فمنه ما جاء في شعر خبيب بن عدي حين عزموا على قتله ^(٥) :

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو غُرْبَتِي ثُمَّ كُرْبَتِي وَمَا أُرْصِدُ الْأَحْزَابُ لِي عِنْدَ مَصْرَعِي

فجانس بين (غربتي وكربتي) .

وليس دائما يكون هناك تقارب في مخرج الحرفين المختلفين من الكلمتين

المتجانستين ، بل يقع التجانس بين لفظتين دون أن يكون بين الحرفين المختلفين تشابه في

(١) ديوانه: ٤١٢ .

(٢) المصدر نفسه: ٤٢٢ .

(٣) ديوانه: ٢٩٨ .

(٤) يُنظر: الطراز المتضمن لأسرار سلاعة: ٣٦٧/٢ ، والشيخ في علم المعاني والبدع والبيان: ٤٨٣ .

(٥) السيرة النبوية: ١٨٥/٣ ، ١٠٠-١٠١: ٤٤١/٢ ، نهاية الأرب: ١٣٦/١٧ ، البداية والنهاية: ٧٦/٤ .

المخرج ، ويسمى هذا النوع باللاحق .^(١) ويكون الحرف المختلف في آخر الكلمة ، ويتجلى لنا ذلك في شعر حسان الذي رثى به عبد الله بن رواحة ، فقال ^(٢) :

طَوِيلُ النَّجَادِ رَفِيعُ الْعِمَادِ مُصَاصُ النَّجَارِ مِنَ الْخَزَرَجِ

فكلمتا (النجاد والنجار) تشابهتا في كل شيء إلا الحرف الأخير فإنه اختلف ، ففي الأولى كان الدال وفي الثانية كان الراء .

ومما تقدم نستطيع القول إن أغلب صورهم الشعرية قد اتسمت بالعفوية ، ولا نقصد بالعفوية التحلل من كل قيد أو تقليد فني ، أو نظام ، كما إننا لا نعني بها خلو هذا الشعر من أية قيمة فنية جمالية ، وإنما نعني بها انعدام الصقل والتهديب والمعاودة والمراجعة وبالتالي انعدام التكلف والتعثر والتعمل ^(٣) .

أمّا شعراء العصر الأموي فهم أيضا قد أدركوا أهمية الصورة ودلالاتها ، وما لها من أثر مهم في إثارة إعجاب المتلقي عن طريق إيصال المعنى إلى ذهنه بأجمل الصور . فالشعر عندهم (ليس مجرد القنطرة على نظم كلمات موزونة مقفاة بقدر ما هو قنطرة على دقة الوصف والتشبيه) ^(٤) ، وهم كغيرهم من الشعراء استخدموا فنون البلاغة في تشكيل صورهم الشعرية ومن هذه الفنون البلاغية التشبيه ، فقد جاء في مقدمة هذه الفنون ، ولا غرابة أن يحتل التشبيه هذه المكانة خاصة إذا علمنا أن العرب (كانت تفضل بين الشعراء في الجودة والحسن بشرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيه لمن وصف فأصاب ، وشبه فقارب) ^(٥) .

فالفرزدق يُشبه ابن أخيه محمداً بشهاب الليل عندما يُوقد ناره حتى يستدل بها من كانت له حاجة عنده ^(٦) :

فَتَى كَشِيبَابِ اللَّيْلِ يَرْفَعُ نَارَهُ إِذَا النَّارُ أَخْبَاهَا لِسَارِ ضِرَامِهَا

(١) يُنظر : التبيان في علم شعاري والبدیع والبيان : ٤٨٤ .

(٢) ديوانه : ٤١٢ .

(٣) يُنظر: شعر الفتح الإسلامية: ٣٠٧ ، ويُنظر: شعر الحرب حتى ق ١٩٢/١٩٢ .

(٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ١٠٤ .

(٥) الوساطة بين المتني وحصره: ٣٣ .

(٦) شرح ديوان الفرزدق: ٧٥٣/٢ .

. ويأسف على خيانة الأيام والليالي التي فرقت بينه وبين محمد ، وشبهها بخيانة دلو القوم التي يستقى بها من الماء فينقطع حبلها من الوسط ، فقال (١):

وَقَدْ خَانَ مَا يُبْنِي وَيُنْ مُحَمَّدٍ لِيَالٍ وَأَيَّامٌ تَنَاعَى التَّامُّهَا
كَمَا خَانَ دَلْوُ الْقَوْمِ إِذْ يُسْتَقَى بِهَا مِنَ الْمَاءِ مِنْ مَتْنِ الرِّشَاءِ الْجِدَامُهَا

وقد مرّ بنا شعر أبي صخر البجلي الذي رثى به ابنه داود ، وقد افتتح شعره هذا متغزلاً بسرب نساءٍ كامثال الدمى (٢) ، وكموز السقى (٣) ، وكبيض النقا (٤) .
وكان هذا الفن وسيلتهم في إثبات ما اتصف به هؤلاء الشهداء من صفات وسجاي ، فهذا الشمردل البريوعي يصور لنا شجاعة أخيه وائل ، فهو يذود عن المسلمين ويحميهم من أعدائهم الفرس ، فشبّه بالأسد الشجاع الذي يذود عن بيته من كل من يحاول الاقتراب منه ، فقال (٥):

إِلَى ذَائِدٍ فِي الْحَرْبِ لَمْ يَكُ خَامِلاً إِذَا عَاذَ بِالسَّيْفِ الْمَجَرَّدِ حَامِلُهُ
كَمَا ذَادَ عَنْ عَرِيْسَةِ الْغَيْلِ مُحَمَّدٌ يَخَافُ الرَّدَى رُكْبَانُهُ وَأَرَاغِلُهُ

ونجده مرة أخرى يستخدم هذا الفن في رسم صورة شعرية قصد من خلالها تأكيد كرم أخيه وائل ، فيقول: إنه كان يقود أبناء قومه في وقت الهجير حرصاً منه على إيصالهم إلى منابع المياه البعيدة ، حتى يرتووا بعد تعبهم من هذا السير الطويل ، وبالرغم من هذا المسير الطويل فإن أخاه لا يهमे تعب أو ملل بقدر ما يهमे سلامة قومه وراحتهم ،

(١) شرح ديوان الفرزدق : ٧٥٤ / ٢ .

(٢) يُنظر: شرح أشعار المهلبين: ٩١٦/٢ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) شعراء أمويون: ق ٥٤٤/٢ .

فشبه حاله هذا بحال سربٍ من القطا وقد أصابه العطش وهو يصارع الصقور التي تمنعه من الوصول إلى الماء ، فحرص أخيه على الوصول بأبناء قومه إلى منبع الماء كحرص هذا السرب الذي يصارع من أجل الوصول إلى المنبع نفسه ، فقال (١):

وَتَهْجِيرُهُ بِالْقَوْمِ بَعْدَ كَلَالِهِمْ إِذَا اجْلَوَّذَ الْخَمْسَ الْبَعِيدَ مَنَاهِلُهُ
عَلَى مِثْلِ جُؤَيْيِ الْعِطَاشِ مِنَ الْقَطَا تَجَاهَدُ لَنَا أَفْرَعْتُهُ أَجَادِلُهُ

أمَّا الفرزدق فيشبه لنا الأيتام الذين يتوافدون إلى دار أخيه محمد ، كأنهم رثبال دعاها للمبيت نعامها ، فقال (٢):

يَتَامَى عَلَى آثَارِ سُودٍ كَانَهَا رَثَالٌ دَعَاها لِلْمَيْتِ نَعَامُهَا

كما كان هذا الفن وسيلة الشمرل في رسم صورة أخرى . بدا فيها عنصر الخيال إلى جانب هذا الفن ، فحسراه تشبه الصحراء الملساء الشاسعة التي لا شيء فيها يسرُّ المار فيها ، فالسُموم التي تلتفح بوجهها تُوحى له بالحزن ، وربما أدرك أنه لن ينجو من هذه المفازة ، أمَّا الصخور الصماء المرتفعة فقد أحاط بها السراب من جميع الاتجاهات ، فبدت كأنها قرا فرس قد غشاه ما وُضِعَ عليه من أغطية ، إنَّ القصد من هذه الصورة هو إشاعة الحزن والأسى في جو القصيدة ، فقال (٣) :

تشبه حَسْرَاهُ الْقِرَاقِيرَ يَرْتَمِي بِهَا ذُو حَدَابٍ بِضَرْبِ الْبَيْدِ سَاحِلَهُ (٤)

إذا النَشْرُ فَوْقَ الْآلِ ظِلٌّ كَأَنَّهُ قَرَا فَرَسٍ يَغْشَى الْاجْلَسَةَ كَاهِلَهُ (٥)

كما اتخذ شعراء هذا العصر من الاستعارة طريقاً لشرح المعاني وتوكيدها ، فهي لا تقل أهمية عن التشبيه ، فقد جعلها المرزوقي في المرتبة الثالثة بعد التشبيه عندما قال: (أقسام الشعر ثلاثة: مثل سائر ، وتشبيه نادر ، واستعارة قريبة) (٦) ، فهي (تعتمد على

(١) شعراء أمويون: ق ٥٤٣/٢ .

(٢) شرح ديوان الفرزدق: ٧٥٢/٢ .

(٣) شعراء أمويون: ق ٥٤٤/٢ .

(٤) القرقير: الأرض الملساء ، يُنظر: اللسان: ٣٥٨٠/٥ (قرر)

(٥) انشر: المرتفع من الأرض ، والآل: السراب ، القرا: الطهر ، يُنظر: الصدر نمرة: ٤٤٢٥/٦ (نشر) و ١٧٣/١

(أول) و ٣٦١٦/٥ (قرا) .

(٦) شرح ديوان الحماسة: ١٠/١ ، للمرزوقي ، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون .

الإستبدال أو الإنتقال بين الدلالات الثابتة للكلمات المختلفة ، ... فالمعنى لا يُقدم فيها بطريقة مباشرة ، بل يُقارن أو يُستبدل بغيره على أساس من التشابه (١).

فهذا أبو الجويرية عيسى بن عصمة يُجسّد لنا الجود على هيئة رجل قد مات بموت رفيقه الجنيد بن عبد الرحمن ، فأصبحا ثاوين في قبر واحد في أرض مرو ، بل بموتهما مات الكرام ، فقال (٢):

هَلَكَ الْجُودُ وَالْجُنَيْدُ جَمِيعاً فَعَلَى الْجُودِ وَالْجُنَيْدِ السَّلَامُ
أَصْبَحَا ثَاوِينَ فِي أَرْضِ مَرُو مَا تَغَنَّتْ عَلَيَّ الْغُصُونُ الْحَمَامُ
كُنْتُمَا نُزْهَةَ الْكِرَامِ فَلَمَّا مَتَّ مَاتَ الثَّدَى وَمَاتَ الْكِرَامُ

فمن خلال هذه الصورة التي شكلها الشاعر بواسطة الاستعارة المكنية أكد كرم هذا القائد.

أمّا الثمردل اليربوعي فهو لم يُشخص الجود كأنناً حياً ويموت ويُدفن بجوار من يرثيه حتى يؤكد بذلك كرم المرثي ، بل نجده يُشخص الجوع وشهوة أكل اللحم كائنين مسؤولين عن فقر الناس ، فيقوم اخوته الثلاثة بقتلها بكرمهما وإشباع الناس ، فقال (٣):

لَا يَبْعُدَا فِتْيَا جُودٍ وَمَكْرُمَةٍ لَدَفْعِ ضِيمٍ وَقَتْلِ الْجُوعِ وَالْقَرَمِ

وهذا زرارة بن حرب يشخص لنا المنية ويجعل منها رجلاً قد أصاب ابنه عبد العزيز بسهم سقط من أثره شهيداً مغترباً ، فقال (٤):

رَمَتْهُ الْمَنُونُ عَلَى غَرْبَةٍ بِسَهْمٍ فَأَصْبَحَ جَسَدِي عَثُوراً

وعندما استشهد القائد المجاهد الجراح بن عبد الله الحلمي طلب الفرزدق من الشمس والقمر الذي يهتدي به الساري ليلاً أن يبكيّا على هذا القائد ، فنحن نعلم أن البكاء

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي: ٢٠١ .

(٢) تاريخ الطبري: ٢١٩/٨ .

(٣) شعراء أمويون: ٥٥٢/٢ ق .

(٤) تاريخ ابن عساکر: ٣٧/٥ .

من صفات الإنسان ، لكن الفرزدق استعار هذه الصفة و اضافها إلى هذين الكوكبين لكي يشاركاه الحزن على فقد هذا القائد ، فقال ^(١):

وَتَبَكَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ الَّذِي بِهِ يَدْعُ السَّارِينَ مَيْلَ الْعَمَامِ

كما حرص الشعراء على تزيين أشعارهم بفنون الأداء الصوتي ومنها الطباق والجناس ، فمعروف عن الطباق أنه جمع بين متضادين في المعنى ^(٢).

فهذا ابن السجف المجاشعي يكشف لنا عما عاناه المسلمون في معركة الشعب من الكرب والأذى ، فيقول ^(٣):

لَا قُوا كَتَائِبَ مَنْ خَاقَانَ مُعْلَمَةً عَنْهُمْ يَضِيقُ فُضَاءَ السَّهْلِ وَالْجَبَلِ

فنحن نلاحظه وقد جمع بين السهل والجبل مؤكدا من خلالهما كثرة جيش الكافرين .

كذلك كان للتجنيس وهو تشابه الكلمتين في اللفظ ^(٤)، حضور في أشعارهم .

فمنه ما ورد في شعر زرارة بن حرب في رثاء ابنه عبد العزيز ، فقال ^(٥):

فَقُلْتُ لَهُ ابْنُكَ زَارَ الْقُبُورَ أَمْ ابْنِي مُعَاوَى زَارَ الْقُبُورَا

فجناس بين زار القبور الأولى والثانية ، أما الألف الآخر في الثانية فإنما هي إشباع

حركة الزوي المطلق وهو الراء المفتوحة ^(٦)، وهذا النوع من الجناس يسمى بالجناس التام ^(٧)

كما وجدنا هذا الفن في رجز بعض المجاهدين الذين كانوا يشدون أراجيزهم في ساحات القتال ،

فيذا محمد بن زرعة العبدي يقول ^(٨):

إِنْ نَلْتُ مَا أَبْغَى فَقَدْ نَلْتُ الْمُنَى جَنَاتُ عَدْنٍ لَيْسَ فِيهَا مَنْ عَنَا

فجناس بين (نلت الأولى والثانية) وهو جناس بين الأفعال .

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٢/ ٧٩٠ .

(٢) ينظر: - متاح العلوم: ٢٠٠ ، مصححا بمعرفة احمد سعد علي .

(٣) تاريخ الطبري: ٨/ ٢١٢ .

(٤) ينظر: - متاح العلوم: ٢٠٢ .

(٥) تاريخ ابن عساکر: ٥/ ٣٧٤ .

(٦) ينظر: من التقطيع الشعري: ٢٤٠ د. صفاء خلوصي .

(٧) ينظر - متاح العلوم: ٢٠٢ .

(٨) الفتوح: ٧/ ١٨٢ .

وهذا النوع من الجناس كما قلنا هو الجناس التام أو المتمثل ، أمّا الآخر فهو الجناس الناقص أو المختلف ، فقد يكون الاختلاف في الحركة فقط ، ومثال ذلك ما وجدناه في شعر عقيل الذي رثى به ابنه علفة^(١) :

فَأَقْسَمْتُ لَا أَبْكِي عَلَى هُلْكِ هَالِكٍ أَصَابَ سُبَيْلَ اللَّهِ خَيْرَ سَبِيلٍ

فوقع الجناس بين (سبيل الأولى المفتوحة ، والثانية المكسورة) .

ويكون الاختلاف في الحرف ، كالذي وجدناه في شعر الشمردل في رثاء أخويه قدامة ووائل فقال^(٢) :

خَلِيلِي مِنْ دُونِ الْأَخْلَاءِ أَصْبَحَا رَهْمِي وَفَاءٍ مِنْ وَفَاةٍ وَمِنْ قَتْلٍ

فكان الجناس بين (وفاء ووفاة) فالهمزة تختلف عن التاء ، فيسمى هذا النوع بالجناس اللاحق^(٣) ، ومنه أيضاً ما ورد في شعر الفرزدق الذي رثى به ابن أخيه محمد ، فقال^(٤) :

تَفَرَّقْ عَنْهَا النَّارُ وَالنَّابُ تَرْتَمِي بِأَعْصَابِهَا أَرْجَاؤُهَا وَاهْتِرَامُهَا

فالجناس المختلف مائل بين (النار والناب) فالراء تختلف عن الباء فسي الشكل

والمخرج .

وبهذا النوع من الجناس نستطيع القول إنَّ هذه أهم الصور الشعرية التي حفلت بها أشعار الشهادة والشهيد في هذا العصر - الأموي - وهذه الصور بمجملها نستطيع أن نقول عنها إنها أكثر فنية من صور صدر الإسلام ، لأنها ابتعدت عن الجانب التاريخي أو التوثيقي ، فاهتم الشعراء كثيراً باختيار (الألفاظ والتبديع الذي يوحى للقاري بتوجه الشاعر والتأنق الفني الذي يعطي اللفظة دلالة التواصل أو قدرة التركيب أو وحدة المجانسة)^(٥) .

(١) الأغاني: ٣١٣/١٢ .

(٢) شعراء أمويون: ٥٤٨/٢ .

(٣) بشار: مفتاح العلوم: ٢٠٣ .

(٤) شرح ديوان الفرزدق: ٧٥٢/٢ .

(٥) شعر الحرب حتى ق ١هـ - ١٩٢ .

المبحث السادس الإيقاع

عرف قدامة بن جعفر الشعر بأنه (كلام موزون مقفى يدل على معنى)^(١)، فمجرد وجود الوزن والقافية في كلام يدل على معنى لا نجده كافياً في تمييز الشعر من غيره من الكلام ما لم يكن هناك انسجام صوتي بين وحدات تفعيلات البيت الشعري خاصة والقصيدة عامة ، أي لابد من وجود موسيقى خاصة بالشعر تكون (ذات علاقة مباشرة بأفكار الشاعر وأحاسيسه وعواطفه)^(٢) ، لأنها أي الموسيقى الشعرية (تزيد من انتباهنا ، وتضفي على الكلمات حياة فوق حياتها ، وتجعلنا نحس بمعانيه كأنما تمثل أمام أعيننا تمثيلاً علمياً واقعياً . هذا إلى أنها تهب الكلام مظهرًا من مظاهر العظمة والجلال ، وتجعله مصقولاً مهذباً تصل معانيه إلى القلب بمجرد سماعه ، وكل هذا مما يثير فينا الرغبة في قراءته وإنشاده وترديد هذا الإنشاد مراراً وتكراراً)^(٣).

لذلك نستطيع القول إن مصطلح الإيقاع هو مصطلح شامل لديه القدرة على استيعاب الوزن والقافية والانسجام الصوتي بين وحدات تفعيلات البيت الشعري خاصة ، والقصيدة عامة . ويقسم الإيقاع على قسمين:

الأول : الداخلي: ويعتمد على الانسجام الموسيقي والقدرة على ترديد الأصوات الملائمة لعواطف الشاعر وأحاسيسه من خلال الانسجام الصوتي بين تفعيلات البيت الشعري وأبيات القصيدة^(٤).

الثاني : الخارجي: ويعتمد على وجود الأوزان والقوافي ، أما الأوزان فهي (أعظم أركان حد الشعر ، وأولها به خصوصية ، وهو مشتمل على القافية

(١) نقد الشعر: ٦٤ .

(٢) شعر الرثاء في حروب الردة ، دراسة موضوعية وصفية ، بحث منشور في مجلة مؤنة للبحوث والدراسات الصادرة عن جامعة مؤتة ، الأردن - المجلد الثامن ، العدد الثاني ، ١٩٩٣ ، كسبه عني أر شيد انخاسة ، ص ٤٧ .

(٣) موسيقى الشعر العربي: ١٦ ، د. إبراهيم أنيس .

(٤) ينظر: المصدر نفسه : ٤٤ - ٤٥ .

وجالب لها ضرورة) ^(١) ، فوجود هذه الأوزان يجد الشاعر حرية كبيرة في التصرف في بحور الشعر العربي ^(٢) ، أمّا القوافي فهي (شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ، ولا يسمى شعراً حتى يكون له وزن وقافية) ^(٣) .

الإيقاع الداخلي:

إنَّ الإيقاع الداخلي بصوره المتعددة له أثره المهم في اكتمال النغم الموسيقي للقول الشعري ، وقد وجد البحث ومن خلال الأشعار التي حصل عليها ثلاث صور لها أثرها في الإيقاع الداخلي ، وهي التكرار بأنواعه ، والتصرّيع والتقفية .

١. التكرار:

يقول ابن فارس: (ومن سنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر) ^(٤) ، فالتكرار أسلوب قديم مارسه الشعراء واهتموا به لأنه يولد انسجاماً صوتياً من خلال الحروف أو المقاطع المتكررة فيما بينها ^(٥) ، كما يفيد توكيد المعنى وتقريبه إلى أذهان المستمعين إليه ، ويُعد التوكيد (سمة من سمات الشعر الإسلامي ، وقد يكون الشعراء متأثرين بالأسلوب القرآني الذي كثيراً ما اعتمد التكرار من أجل التقرير والتأكيد) ^(٦) .

فنجذ في أشعارهم ألفاظاً وعبارات متكررة أرادوا من خلالها إشعارنا بمكانة هؤلاء الشهداء الأبرار ، والحزن الذي أصاب جميع المسلمين لفقد هؤلاء الأبرار ، لذلك أكثر الشعراء من التكرار في هذا الغرض ، (وقلَّ أن تجد شاعراً لا يُكرّر في موقف الرثاء) ^(٧) ، فمن ذلك تكرار عبارة (وبكيه) التي نجدها في شعر هند بنت أئانة بن عبد

(١) العمدة: ١/ ١٣٤ .

(٢) ينظر: الشعر الإسلامي في عصر صدر الإسلام: ٣٩٤ .

(٣) العمدة: ١/ ١٥١ .

(٤) الصاحي في فقه اللغة ورسن لغرب في كلامها: ٢٠٧ .

(٥) ينظر: المرشد: ٢/ ٥٦٨ ، وينظر: حرس الألفاظ: ٢٣٩ .

(٦) الإسلام والشعر: ٢٢٠ ، وينظر: حرس الألفاظ: ٢٣٩ - ٢٤٠ .

(٧) دروس في البلاغة ونظورها: ٢٦٨ ، د. جميل سعيد .

المطلوب وهي ترثي عبدة بن الحارث ، وأرادت من تكرارها هذا تأكيد كرم هذا الفارس الكريم الذي شمل كرمه الأقوام والأيتام فهم حزاني على فقده ، فقالت ^(١):

وَبَكِّيهِ لِلْأَقْوَامِ فِي كُلِّ شَتَاةٍ إِذَا احْمَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ مِنَ الْمَحَلِّ
وَبَكِّيهِ لِلْأَيْتَامِ وَالرَّيْحُ زَفَرَفٌ وَتَشِيبُ قَدْرٌ طَالَمَا أَزْبَدَتْ تَغْلِي

أما حسان بن ثابت فنجدته قد كرر لفظة (الجسر) ثلاث مرات أكد من خلالها حزنه على شهداء المسلمين الذين استشهدوا في ذلك اليوم ، فقال ^(٢):

عَلَى الْجِسْرِ يَوْمَ الْجِسْرِ لَهْفِي عَلَيْهِمْ فَيَا لَهْفٍ نَفْسِي لِلْمُصَابِ عَلَى الْجِسْرِ

وهذا الإحساس بالحزن الذي أشعرنا به من خلال شعره لم يكن ليبلغ ذروته لولا العبارة المكررة التي (تؤدي إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية. وباستناد الشاعر إلى هذا التكرار يستغني عن الإفصاح المباشر وإخبار القارئ بالألفاظ عن مدى كثافة الذروة العاطفية) ^(٣). كما تكررت في أشعارهم ألفاظ شكلت بتناوبها نغماً موسيقياً يُوحى بقوتهم وفنكهم بأعداء الإسلام ، الذين ما أن سمعوه حتى ولوا هاربين، فمن ذلك شعر ضرار بن الأزور الذي أنشده وهو يصول على الأعداء ، حيث كرر لفظة (ويل) ثلاث مرات في صدر البيت الآتي ، فقال ^(٤):

قَوِيلٌ ثُمَّ وَيْلٌ ثُمَّ وَيْلٌ لِمَنْ مَنِي بِمُشْتَدِّ الْعَوِيلِ

وهذه الظواهر الصوتية على قلنا تؤدي وظيفة سمعية ، وتؤثر فيمن يستجيب لها ذوقياً ، وهذه الوظيفة الصوتية قد ترتضيها أذن دون أخرى ^(٥).

أما بالنسبة للشعر الأموي فإننا وجدنا من خلال دراسة أشعارهم التي تخص موضوع البحث قسماً من الظواهر الصوتية ذات الصلة بالإيقاع الداخلي ، وهذه الظواهر لا تختلف عن ظواهر شعر صدر الإسلام ، وسنبينها بترتيبها السابق نفسه .

(١) معجم ديرين أشعار النساء: ١٦٩ .

(٢) ديوانه: ٤٢٢ .

(٣) قضايا الشعر المعاصر: ٢٥٣ . باري الملاحكة .

(٤) فروع الشام: ٢٩٢/٢ .

(٥) بظر: الظواهر الفنية في قصيدة الحرب (الإيقاع الداخلي في قصيدة الحرب) : ٧١ ، د. عبد الرضا علي .

بالنسبة للتكرار فقد كان له حضور في أشعارهم لما له من أثر مهم في تثبيت إيقاعها الداخلي ، كذلك وظيفته الصوتية التي تُشعر الإذن بالانسجام والتوافق والقبول^(١) . فمن هذا التكرار ما وجدناه في شعر أبي صخر الهذلي الذي رثى به ابنه داود ، حيث جعل من (الألف المقصورة وهي تنقطع بحركة ، وتنتهي بإشارة هي النغم المُردد والدور المعاد في كل مقطع من مقاطع الأبيات) (٢) فقال (٣) :

فَسَرِبَ كَأَمْثَالِ الدُّمَى مُتَتَهَى الْمَنَى يُضِرْنَ الدُّجَى لَفً ثِقَالِ الْحَقَائِبِ
قِصَارِ الْخُطَى شَمُّ شَمْسٍ عَنِ الْخَنَدِ خِدَالِ الشَّوَى قُتُخِ الْأَكْفُ خَرَاعِبِ
كَمْوَزِ السَّقَى فِي حَائِرِ غَدَقِ الثَّرَى عَذَابِ اللَّمَى يُجَبِّنُ طُلُ الْمُنَاسِبِ
كَيْضِ الثَّقَا فِي حَاجِرِ قَرْدِ الثَّرَى جَلْتُهُ الصَّبَا مِيلَ طُؤَالِ الدَّوَائِبِ

فهذه (الصياغات الموسيقية ذات الإيقاع الفني المرقص ، والوزن الشعري الملفت ، تثير حالة أخرى من حالات الموافقة بين اختيار اللفظ ورنة الأسمى ، وشدة الانفعال ، وعظم المصاب ، ووحدة الحزن وامتداد نشيج العويل الذي تخفيه أنات البكاء أو تطويه حشرات الفجيرة) (٤) .

ومن تكرار الحرف أيضاً ما وجدناه في شعر زرارة بن حرب بن عمرو بن عوف الذي رثى به ابنه عبد العزيز الذي استشهد في حرب الروم ، إذ كرر حرف الفاء سبع مرات ، وهذا التكرار يضيف نغمة موسيقية تُشعر السامع بحزن الأب على ابنه ، فقال (٥) :

فَقُلْتُ لَهُ ابْنُكَ زَارَ الْقُبُورَ أَمْ ابْنِي مَعَاوِي زَارَ الْقُبُورَا
فَقَالَ ابْنُكَ عَبْدُ الْعَزِيزِ فَكَأَدَ الْفُؤَادَ لَهُ يَطِيرَا
فَإِنْ يَكُنِ الْمَوْتُ أَوْدَى بِهِ وَأَصْبَحَ نَبْحَ الْكِلابِ زِيرَا

(١) ينظر: الظواهر الفنية في قصيدة الحرب (الإيقاع الداخلي في قصيدة الحرب) : ٧١ .

(٢) شعراء أمويون : ق ١٨/٤ .

(٣) شرح أشعار المهذلين : ٩١٦/٢ .

(٤) شعراء أمويون : ق ١٨/٤ - ١٩ .

(٥) تاريخ ابن عساكر : ٣٧٤/٥ .

فَكُلْ فَتَى شَارِبَ كَأْسِهِ فِيمَا صَغِيرًا وَإِمَّا كَبِيرًا

كما وجدناهم يلجأون إلى تكرار ألفاظ ذات جرس موسيقي ، كالذي وجدناه عند الفرزدق، فهو قد استخدم هذا الفن في رثائه لابن أخيه محمد ، إذ أعاد ترديد لفظة (الفتى) ثلاث مرات في مقدمة ثلاثة أبيات من قصيدته التي رثاه بها ، فشكل هذا التكرار نغما حزينا يوحى بفقد هذا الفتى الكريم الشجاع ، فقال (١):

فَتَى كَانَ لَا يُبْلَى الْإِزَارَ وَسَيْفُهُ بِهِ لِلْمَسْوَلي فِي التُّرَابِ انتِقَامُهَا
فَتَى لَمْ يَكُنْ يُدْعَى فَتَى لَيْسَ مِثْلُهُ إِذَا الرِّيحُ سَاقَ الشَّوْلَ شَلًّا جَهَامُهَا

وكذلك لجأوا إلى تكرار الأفعال التي أكدوا من خلالها مكانة هؤلاء الشهداء وما عرفوا به من شجاعة أرهبت الأعداء ، فهذا الثمرلج يلجأ إلى إعادة الفعل (كان) ثلاث مرات في بداية ثلاثة أبيات من قصيدته التي رثى بها أخوه الحكم ، فقال (٢):

وَكُنْتَ سَنَانٌ رَمَحِي مِنْ قَنَاقِي وَلَيْسَ الرَّمْسُحُ إِلَّا بِالسَّانَانِ
وَكُنْتَ بَنَانٌ كَفِيٍّ مِنْ عِمْنِي وَكَيْفَ صَاحُهَا بَعْدَ الْبَنَانِ
وَكَانَ يَهَابُكَ الْأَعْدَاءُ فِينَا وَلَا أَخْشَى وَرَاءَكَ مَنْ رَمَانِي

(١) شرح ديوان الفرزدق: ٧٥٢/٢ .

(٢) شعراء أمويون: ق ٥٥٤/٢ .

أمّا سواده بن عبد الله السلولي فيلجأ إلى تكرار الفعل (بكى) ثلاث مرات في شعره الذي رثى به هُبيرة بن المشمرج الكلابي ، وهذا الفعل قد شكل نغماً موسيقياً حزيناً يُبكي السامعين ، فقال ^(١):

بَكَتِ الْجِيَادُ الصَّافِنَاتُ لِفَقْدِهِ وَبَكَاهُ كُلُّ مُتَقَفٍ عَسَّالٍ
وَبَكَتْهُ شُعْتُ لَمْ يَجِدَنَّ مُوَاسِيَا فِي الْعَامِ ذِي السَّنَوَاتِ وَالْإِحْمَالِ

وقد عمدَ بعض الشعراء إلى تقوية النغم الموسيقي من خلال إعادة ألفاظ بصورة متناوبة في سياق النظم بين عجز بيت سابق وصدر بيت لاحق ^(٢)، وقد وجدنا هذا الفن في شعر الشرعبي الطائي الذي وصف لنا به جانباً من معركة الشعب النّسي تكبّد فيها المسلمون خسائر كثيرة ، واستشهد منهم الكثير ، فقال ^(٣):

أَحَامِي عَلَيْهَا حِينَ وَلَّى خَلِيلُهَا تُنَادِي إِلَيْهَا الْمُسْلِمِينَ فَتُسْمَعُ
تُنَادِي بِأَعْلَى صَوْقًا صَفَّ قَوْمَهَا أَلَا رَجُلٌ مِنْكُمْ يَغَارُ فَرَجْعُ
أَلَا رَجُلٌ مِنْكُمْ كَرِيمٌ يَرُدُّنِي يَرَى الْمَوْتَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ يَنْفَعُ

(١) تاريخ الطبري: ١٠١/٨ ، الشعر العربي بخراسان في العصر الأموي: ٢٢٤ .

(٢) ينظر: جرس الألفاظ: ٢٤٦ .

(٣) تاريخ الطبري: ٢١٥/٨ .

فمما تقدم نجد أن ظاهرة التكرار لها حضور في شعرهم الذي يخص موضوع دراستنا وهذا يدل على اهتمام شعراء العصرين بهذا اللون الصوتي في أشعارهم .
٢. التصريح:

وهو فن شعري يتمثل بكون قافية الشطر الأول هي قافية الشطر الثاني ^(١) . وكثيراً ما يقع التصريح في مطلع القصيدة أو عند الانتقال من موضوع إلى آخر في القصيدة الواحدة لأنه يعد أي الموضوع الجديد مستهل قصيدة جديدة ^(٢) ، وخلال البحث عن هذا الفن في المادة الشعرية التي تخص موضوع البحث لم نجد له وجوداً إلا القليل منه ، وربما يعود اختفاء هذا الفن إلى حذف نال مطالع ما وصلنا من قصائد ^(٣) ، أو يعود السبب إلى ظروف نظم الشعر ، فاعلّب شعراء هذا العصر كانوا مجاهدين قد خاضوا غمار أغلب المعارك يقاتلون مع إخوانهم المجاهدين ، فلم يسمح الوقت القصير الذي كان يتسنى لهم التأني والاعتناء بوجود مثل هذا الفن في أشعارهم ^(٤) ، بل كانت غايتهم في تلك اللحظات هي توثيق الأحداث ورثاء الأشخاص وإنشاد أشعار قليلة الكلمات كثيرة المعنى تحفز المجاهدين على مواصلة القتال والفوز بجنان الخلود . فمما ورد من التصريح في أشعارهم شعر حسان يوم أحد خاصة رثاء حمزة عليه السلام فقال في مطلعها ^(٥) :

أشأقك من أم الوليد ربوع
بلاقع ما من أهلهم جميع

فجاءت العروض على وزن (مفاعي) وقد أصابها القطف وهو حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة وتسكين ما قبله ^(٦) ، وكذلك جاء الضرب على الوزن نفسه ، في حين جاءت أعاريم القصيدة على وزن (مفاعِلُنْ) وقد أصابها القبض وهو حذف الخامس الساكن ^(٧) ، وهذه العلة دائماً تكون على هذا الوزن من البحر الطويل ^(٨) .

(١) بنظر: العمدة: ١٧٣/١ ، وفن التقطيع الشعري : ٥٣ .

(٢) بنظر: فن التقطيع الشعري : ٥٠ .

(٣) بنظر: طبقات فحول شعراء: ٢٥/١ ، وبنظر: نصاحي في فقه اللغة: ٦٧ .

(٤) بنظر: شعر الفتح الإسلامية: ٢٣٨ ، وبنظر: الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية: ١٢٨ ، إحسان سركريس .

(٥) ديوانه: ٣٣٧ .

(٦) بنظر: فن التقطيع الشعري: ٢٠٨ .

(٧) بنظر: المصدر نفسه : ٤٧ .

(٨) بنظر: المصدر نفسه : ٢٠٧ .

هذا بالنسبة لما يخص صدر الإسلام ، أما بالنسبة للشعر الأموي وفيما يخص موضوعنا فإن البحث لم يجد هذا الفن نهائيا ، وربما مرد هذا الخلو يعود إلى نفسية الشاعر وشعوره إزاء الموقف أو التجربة التي مر بها ^(١)، والتي لم تسمح له بأخذ الوقت الكافي لإبراز هذا الفن ، فضلا عن إن الإيقاع الداخلي - الذي التصريح جزء منه - يعتمد على قوانين النفس الفردية ، لا الجماعية ، لذلك لا يمكن ضبط ما للنفس من خصوصية خفية ^(٢)، وهذا يؤيد اختفاءه من قسم معين من القصائد وتواجده في بعضها الآخر .

٢. التقفية:

عندما نجد العروض والضرب من روي واحد ووزن واحد دون أن يدخل على العروض أي تغيير سواء بالنقص أو الزيادة سمي ذلك بـ (التقفية) ^(٣)، وفي الأشعار التي تخص دراستنا وجدنا نسبة التقفية أكثر من نسبة التصريح بالرغم من قلتها أيضا .

فمن ذلك ما ورد في شعر حسان بن ثابت في رثائه شهداء مؤتة ، فقال ^(٤):

نَأْوِبِي لَيْلٍ بِشَرْبٍ أَعْسَرُ وَهُمْ إِذَا مَا نَوَّمَ النَّاسَ مُسْهَرُ

فكانت العروض على وزن (مفاعِلُنْ) وكذلك الضرب وقد أصابهما القبض وهو حذف الخامس الساكن ^(٥)، وكذلك الأمر بالنسبة للروي ، فروي العروض كأن الراء المضمومة والأمر نفسه كان للضرب . في حين جاءت بقية أعاريض القصيدة على الوزن نفسه لكن دون أن يكون اتفاق في الروي . ومنه أيضا ما قاله في رثاء سعد وأصحابه من المسلمين ، فقال ^(٦):

أَلَا يَا لِقَوْمٍ هَلْ لِمَا حَمَّ دَافِعُ وَهَلْ مَا مَضَى مِنْ صَالِحِ الْعَيْشِ رَاجِعُ

(١) ينظر: الظواهر الفنية في قصيدة الحرب (الإيقاع الداخلي في قصيدة الحرب) : ٧١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه .

(٣) ينظر: فن التقطيع الشعري: ٥١ .

(٤) ديوانه: ٩٨ .

(٥) ينظر: فن التقطيع الشعري: ٢٠٧ .

(٦) ديوانه: ٢٦٧ .

فجاءت العروض والضرب أيضا على وزن (مُفَاعِلُنْ) بروي متشابه وهو العين ،
في حين جاءت بقية الاعاريض على الوزن نفسه .

وقد وجد هذا الفن أيضا في شعر خالد بن الوليد رضي الله عنه في رثائه لابنه سليمان فقال^(١):
جَرَى مَدْمَعِي فَوْقَ الْحَاجِرِ مُنْهَمِلٌ وَحَرُّ فُؤَادِي مِنْ جَوَى الْبَيْنِ يَشْتَعِلُ

فالعروض هنا والضرب جاءا على وزن (مفاعِلُنْ) بلام ساكنة هي روي كل
منهما ولم تختلف بقية اعاريض القصيدة عن هذا الوزن ، لأنها جاءت عليه .
وكذلك الأمر نفسه نجده في رثائه لزياد بن أبي سفيان ، فقال^(٢):

هُوَامٌ دَمَوَعِي كَالسَّحَابِ تَهْمَعُ وَقَلْبِي مِنْ فَقْدِ الْأُحِبَّةِ يَفْزَعُ

فاتفقت العروض والضرب بوزن واحد هو (مفاعِلُنْ) وكذلك بروي واحد وهو
العين المضمومة ، أما بقية الاعاريض التي جاءت في القصيدة فإنها لم تختلف عن
الوزن الذي اتفق عليه عروض المطلع وضربه ، وهذه خزانة بنت خالد بن جعفر نجد
عندها هذا الفن في أبياتها التي رثت بها شهداء القادسية فقالت^(٣):

فَيَا عَيْنَ جُودِي بِالدَّمْعِ السَّوَاجِمِ فَقَدْ شَرَعَتْ فِينَا سُيُوفُ الْأَعَاجِمِ

فاتفقت عندها العروض والضرب على وزن (مفاعِلُنْ) وبروي واحد وهو الميم
المكسورة ولم تختلف اعاريض بقية الأبيات عن هذا الوزن .

فنحن نرى مما تقدم أن نسبة البحر الطويل من هذا الوزن كثيرة ، لكن هذا الأمر
لم يمنع بقية البحور من أن يكون لها نصيب من هذا الفن . لذلك نجد حسان بن ثابت
ينظم أبياتاً في رثاء أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البحر البسيط ووجدنا فيها
هذا الفن فقال^(٤) :

يَا لِلرَّجَالِ لِدَمْعٍ هَاجَ بِالسِّنِّ لَقَدْ عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْكِي عَلَى الدَّمَنِ

(١) نوح الشام: ٢٦٧/٢ .

(٢) انصهر نفسه: ٣٠٠/٢ .

(٣) معجم ديوان أشعار الساء: ٨٢ .

(٤) ديوانه: ٣١٩ .

ففرى أن وزن العروض قد اتفق مع وزن الضرب وهو (فَعْلُنْ) قد حُذِفَ منه أول وتده المجموع وهو العين وهو ما يسمى بالتشعيب^(١)، كما اتفقا بروي واحد وهو النون المكسورة ، أما بقية أعاريض الأبيات المتبقية فإنها لم تختلف عن هذا الوزن . وكذلك الأمر نفسه في رثائه خبيب بن عدي حيث نظم الأبيات التي رثاه بها على البحر الماضي نفسه ، وفي مطلع قصيدته نجد هذا الفن فقال (٢) :

يا عينُ جُودِي بِدَمْعٍ مِنْكَ مُنْسَكِبٍ وابكي خيباً مع الغادينِ لم يُؤَبِّ

فكل من العروض والضرب جاءا على وزن واحد وهو (فَعْلُنْ) وكذلك جاء كل منهما بروي واحد وهو الباء المكسورة ، كذلك اتفقا مع بقية أعاريض القصيدة فقد جاءت على نفس الوزن . كما وجدنا هذا الفن في شعر نُظِمَ على البحر الوافر ، فمن ذلك شعر كعب بن مالك عندما رد به على ضرار بن الخطاب في يوم الخندق وقد ضمن هذه القصيدة دفاعه ورثاءه لسعد بن معاذ فقال (٣) :

وسائلةٌ تُسائلُ ما لَقِينَا ولو شَهِدَتْ رَأَتْنا صَابِرِينَا

فوزن العروض والضرب واحد وهو (فَعْلُونْ) وكذلك رويهما واحد وهو النون المفتوحة وكان للبحر المتقارب حظه من هذا الفن ، فقد نظم كعب بن مالك شعره الذي رثى به حمزة بن عبد المطلب على هذا الوزن ، فقال (٤) :

نشجتَ وهل لك من منْشَجٍ وكنت متى تَذَكُرُ تَلْجَجٍ

فاتفق وزن العروض ورويها مع وزن الضرب ورويها ، فكان الوزن هو (فَعْوُ) وقد أصابه القطف وهو حذف السبب الخفيف من آخر التفعيلة (٥) ، أما رويها الموحد فهو الجيم المكسورة ، وبقية أعاريض القصيدة لم تخرج عما اتفق عليه العروض والضرب .

(١) بظر: من التظهير الشعري: ٢٠٨ .

(٢) ديوانه: ٣٧٠ .

(٣) ديوانه: ٢١٥ .

(٤) ديوانه: ١٥٧ .

(٥) بظر: من التظهير الشعري: ٢٠٨ .

وهذا اللون الصوتي على قلته فقد كان له وجود في شعر الشهادة والشهيد في عصر صدر الإسلام ، أما في العصر الأموي وفيما يخص دراستنا فإن هذا اللون كاد يختفي إذ وجده البحث مرة واحدة فقط ، فقد وجد في قصيدة أبي صخر الهذلي التي رثى بها ابنه داود ، فقال في مطلعها ^(١):

تَعَزَّيْتُ عَنْ ذِكْرِ الصَّبِيِّ وَالْحَبَائِبِ وَأَصْبَحْتَ عِزَّيَ لِلصَّبِيِّ كَالْمُجَانِبِ

فقد اتفقت العروض والضرب وزنا ورويا ، إذ جاء على وزن واحد وهو (مفاعلن) وبروي واحد وهو الباء المكسورة المطلقة ، أما بقية أغاريد القصيدة فقد جاءت على الوزن نفسه .

فكلا الحالتين (الأولى والثانية) جاءتا على البحر الطويل . وهذه القلة لهذا اللون نعزوها إلى طبيعة شعر (الشهادة والشهيد) الذي يتطلب الإيجاز والسرعة في نظم الأشعار التي اهتم شعراؤها بمضمونها وشكلها أكثر من أي شيء أحيانا ، إذ اتسمت هذه المضامين بصدق العاطفة والحرارة الإنفعالية ^(٢) .

الإيقاع الخارجي: (الأوزان) .

الأوزان هي أول ركن وأهمه يميز الشعر من غيره من أجناس الكلام ، فهي أساس الشعراء الذين ينظمون عليه أشعارهم ، ولكن يتبادر إلى الذهن سؤال وهو: هل يجب أن تكون هناك علاقة أو مناسبة بين الوزن والموضوع ، أو بعبارة أخرى هل يختص كل موضوع معين ببحر معين ؟ وللإجابة عن هذا السؤال لابد لنا من أن نستعرض آراء

(١) شرح أشعار المنيلين : ٩١٥/٢ .

(٢) ينظر: الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية: ١٢٨ .

نقادنا القدامى لكي نتعرف على رأيهم في هذه المسألة والنتائج التي توصلوا إليها ، ومن ثمَّ نورد رأينا في هذه المسألة مؤيداً أو معارضاً مع ما يُثبت ذلك .

فابن طباطبا العلوي يؤكد ضرورة ارتباط الوزن بالموضوع ، فيقول: (فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يُريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً ، وأعدَّ له ما يُلبسه إياه من الألفاظ التي تُطابقه ، والقوافي التي تُوافقه ، والوزن الذي يسلس له القول عليه) ^(١) ، وهذا التأكيد نجده أيضاً عند أبي هلال العسكري إذ يقول: (إذا أردت أن تعمل شعراً فاحضر المعاني التي تريد نظمها فكرك ، وأخطرهما على قلبك ، واطلب لها وزناً يتأتى فيه إيرادها وقافيةً يحتملها ، فمن المعاني ما تتمكن من نظمه في قافية ولا تتمكن منه في أخرى ، أو تكون في هذه أقرب طريقاً وأيسر كلفةً منه في تلك ، ولأنَّ تعلو الكلام فتأخذه من فوق فيجيء سلساً سهلاً ذا طلاوة ورونق خيرٌ من أنَّ يعلوك فيجيء كُزاً فجاً ، ومتجعداً جلقاً) ^(٢) ، ولم يُخالف تأكيدهم هذا من جاء بعدهم ، فهذا حازم القرطاجني يؤكد ما ذهب إليه سلفه بكلامٍ نجد فيه شيئاً من التفصيل ، فيقول: (ولما كانت أغراض الشعر شتى وكان منها ما يقصد به الجد والرصانة ، وما يقصد به الهزل والرشاقة ، ومنها ما يقصد به البهاء والتخيم ، وما يقصد به الصغار والتحقير ، وجب أنَّ تحاكي تلك المقاصد بما يناسبها من الأوزان ويخيلها للنفوس) ^(٣) ، فنحن نرى تأكيد هؤلاء جميعاً وجود علاقة تربط بين الوزن والموضوع ، وهذا التأكيد نجد له صده عند علمائنا المحدثين الذين حاولوا الربط بين الوزن والموضوع ، فالأستاذ أحمد الشايب يرى أنَّ (خير الأوزان ما لاعم موضوعه أو عاطفته العامة. وعلى الناقد أنَّ ينظر في هذه الصلة بين المعنى والوزن لعله يجد في ذلك تناسباً يكسب النظم قوةً وجمالاً ، أو تجافياً يذهب بروعة الشعر وحسنه) ^(٤) ، لكن قضية ربط الوزن والموضوع هذه لم يكن لها إجماع عند المحدثين كما هو عند القدامى ، فقسم منهم لا يرى (في مقاطع هذه الأوزان المتباعدة ما يُوحى بمثل هذا ، فهي كلها تخضع لروح عام في توالي المقاطع ، ولا يفرق بينها إلا

(١) عبار الشعر: ٥ .

(٢) لصاعتي: ١٣٩ .

(٣) منهاج العلماء وسراج الأدياء: ٢٦٦ .

(٤) أصول النقد الأدبي: ٣٢٤ ، د. أحمد الشايب .

كثرة المقاطع أو قلتها^(١)، (فالبحور المختلفة وإن لم تختلف في " نوع " العواطف التي تصلح لها فهي تختلف في " درجة " العاطفة)^(٢).

فنحن نرى النتيجة التي توصل إليها الباحثون المحدثون - وقد خلا منهم الشائب - من أنه لا توجد أي ضرورة تربط الوزن بالموضوع ، أو أن لكل غرض وزناً معيناً .

أما رأي البحث تجاه هذه المسألة فهو يؤيد هذه النتيجة التي تنفي أن يختص كل وزن بموضوع معين ، بل الأمر يتعلق بقدرة الشاعر وحالته النفسية التي يكون عليها عند نظمه الشعر ، ولكي نؤيد صحة ما ذهبنا إليه قام البحث بإحصائية لنصف المادة الشعرية التي حصل عليها ، فكانت (٥٠٥) بيتاً من مجموع (١٠١٠) بيتاً لكسي نعرف الأوزان الشعرية التي نظمت عليها ، وبعد أن أنهى العمل تبين لنا أنه لا توجد أي علاقة بين الوزن والموضوع ، ولم يختص موضوع معين بوزن معين بل وجدناهم ينظمون أشعاراً لموضوع معين ولكن بأوزان مختلفة ، كما نظمت أشعار لمواضيع متعددة على وزن واحد ، زيادة على ذلك (فإن استعراض القصائد القديمة وموضوعاتها لا يكاد يشعرنا بمثل هذا التخير ، أو الربط بين موضوع الشعر ووزنه . فهم كانوا يمدحون ويفاخرون أو يتغزلون في كل بحور الشعر التي شاعت عندهم ... من دون أن يتخسروا وزناً خاصاً لموضوع خاص)^(٣). ومن خلال هذا الاستنتاج أيضاً استطاع البحث أن يلاحظ تسلسل الأوزان بحسب الاستخدام ، فقد جاء البحر الطويل في المرتبة الأولى ، إذ بلغ عدد المرات التي نظم عليها من مجموع الأشعار ثلاث وأربعين (٤٣) مرة ومعروف عن البحر الطويل رحابته وامتداده ورسانيته^(٤)، لذلك نجد أن ما يقارب ثلث الشعر العربي القديم قد نظم عليه^(٥).

وحل بعده ثانياً بحر الرجز وجاء بنسبة ثمانية وعشرين (٢٨) مرة ، ولا نستغرب أن يشغل الرجز هذه المساحة من شعرهم ، وذلك (لصالحيته ومناسبته لمواقف

(١) موسيقى الشعر: ١٧٦ ، د. أنيس إبراهيم .

(٢) الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتكوينه: ٦١/١ ، د. محمد الربيعي .

(٣) موسيقى الشعر: ١٧٧ .

(٤) بظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب وصاغت: ٣٦٢/١ ، عبد الله الطيب .

(٥) بظر: موسيقى الشعر: ٥٩ .

الإرتجال ، لكونه من أنسب البحور الملائمة لمثل هذه المواقف التي تستدعي القول على البديهية لإثارة حماس المتحاربين وشحن همهم (١)، فكل معركة خاض غمارها المجاهدون توشك أن تكون مسرحاً لكثير من الرجاز الذين يقدمون رجزهم بين أيدي القتال ، يفخرون فيه بشجاعتهم وبطولاتهم (٢)، وبه يحرضون المجاهدين على مواصلة الجهاد والفوز بشرف الشهادة التي طالما تغنوا بها ، فردتها ألسنتهم وتشوقت إليها نفوسهم ، فمن ذلك ما أنشده ابن رواحة وهو يقاتل الأعداء (٣):

يَا نَفْسُ إِلَّا تَقْتُلِي تَمُوتِي
هَذَا جِأَمُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَيْتِ
وَمَا تَمْنَيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتِ
إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدَيْتِ
إِنْ تَسْلِمِي الْيَوْمَ فَلَنْ تَفُوتِي
أَوْ تَبْلِي فُطُلَا عَوْفِيَّتِ

كما إن سهولة هذا البحر وملاءمته لمذاخ الحرب (٤)، المتسم بضيق الوقت وعنف الأحداث هو أحد دوافع اتجاه الشعراء الفرسان إلى هذا النوع من الأوزان (٥) .
وجاء البسيط في المرتبة الثالثة بنسبة سبعة عشر ، (١٧) مرة ، فهو (شديد
الصلاحية للتعبير عن معاني العنف والتعبير عن معاني الرقة) (٦)، فهذا الشاعر الرقيق
متمم بن نويرة الذي طالما بكى على فقد أخيه ، يبكي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ؓ
فقال (٧) :

(١) المرشد إلى فهم أشعار العرب: ٢٣٣/١ .

(٢) ينظر: تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي: ٢٥ ، يوسف خليف .

(٣) ديوانه: ٨٧ .

(٤) ينظر: مدخل إلى قصيدة الحرب : ٤٦ .

(٥) ينظر: من أدب الدعوة الإسلامية: ٨٨ .

(٦) المرشد إلى فهم أشعار العرب: ٢٣/١ .

(٧) مالمث ومتمم اسا نويرة : ١٣ .

يَسْأَلْنِي ابْنُ بُجَيْرٍ أَيْنَ أَبُكَرُهُ
عَنِّي فَإِنْ قُوَادِي عَنْكَ مَشْغُولُ
هَلَّا يَوْمَ أَبِي حَفْصٍ وَمَضَرَعِهِ
إِنْ ابْتِغَاءَكَ مَا ضَيَّعْتَ تَضْلِيلُ

ومن بعده يأتي الوافر بنسبة ثمانني (٨) مرات ، وهذا البحر من (أكثر البحور مرونة يشتد ويرق كيفما تشاء ، وأجود ما يكون في الفخر والرثاء) (١)، فمن ذلك قول أبي الأسود الدؤلي الذي افتخر بحبه لرسول الله ﷺ ، وقرابته الكرام ، ومنهم حمزة بن عبد المطلب ؑ ، وذو الجناحين جعفر بن أبي طالب ؑ ، فقال (٢) :

أَحَبُّ مُحَمَّدًا حَبًّا شَدِيدًا وَعَبَّاسًا وَحَمْزَةً وَالْوَصِيَّةَا
وَجَعْفَرًا إِنْ جَعْفَرَ خَيْرُ سَبْطٍ شَهِيدًا فِي الْجَنَانِ مُهَاجِرِيَا
بُنُو عَمِّ النَّبِيِّ وَأَقْرَبُوهُ أَحَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمْ إِلَيَا

ومنه أيضا ما قاله كعب الندي في رثاء ابنه عمرو الذي استشهد مع مجزأة بن ثور (٣) في تستر (٤) ، فحمد الله تعالى الذي جعل من صلبه من أصيب شهيدا ، وأنشد (٥) :

فَهَلْ تَعْدُو الْمَقَادِرُ يَأَلْقَوْنِي هَلَاكَ الْمَالِ أَوْ فَقْدَ الرَّجَالِ
فَكُلًّا قَدْ لَقِيتُ وَقَلْبَتْنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ حَالًا بَعْدَ حَالِ

وبعده يطالعنا بحر الجزالة وحسن الاطراد (٦)، إنه البحر الكامل الذي (يعد من أفخم بحور الشعر وأكثرها جلجلة وحركات وفيه ما يوحي بالأبوية ما يمنعه أن يكون خفيفا) (٧)، فجاء بنسبة ست (٦) مرات ، وبعبه نجد الرمل السريع والخفيف وكل منهما جاء مرتين فقط .

(١) من النقطيع الشعري والتدبية: ٨٤ .

(٢) ديوانه: ٧٣ ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين .

(٣) هو مجزأة بن ثور بن عمرو بن وهب بن عمرو بن كعب بن سدوس السدوسي ، قيل قتله الفرماني ، وكان له ولد يقال له شقيق كان رئيس بكر بن وائل في خلافة عثمان ، ينظر: الإصابة: ٤٤/٦ - ٤٥ .

(٤) تستر: وهي أعظم مدينة خوارستان . ينظر: معجم البلدان: ٤٤٣/٢ .

(٥) لشعري وثرثاني: ٢٤٠ - ٢٤١ ، وينظر: النعاري: ١٨/١ .

(٦) ينظر: مناجح اللغاء وسراج الأدباء: ٢٦٩ .

(٧) مرشد: في فهم أشعار العرب: ٤٢٦/١ .

ولا ننسى أن نشير إلى مسألة مهمة لها علاقة بما تقدم ذكره ، وقد أفادنا الإحصاء المتقدم في الألفاظ والتعليق عليها ، وهي أن هؤلاء الشعراء وهم ينظمون أشعارهم لم تكن لهم معرفة سابقة بهذه البحور وتفعيلاتها المختلفة ، بل ما نظموه كان اعتماداً على سلائقهم الأدبية والفطرية ، (ومما يدل على ذلك أن جميع الشعر الجيد المستشهد به إنما هو لمن كان قبل وضع الكتب في العروض والقوافي)^(١).

القوافي:

للقوافي مكانتها المهمة في موسيقى الشعر العربي ، فهذا الشعر لا يكتمل بمعناه الحقيقي بمجرد وجود الوزن فقط ، بل لابد من وجود القوافي معه فهما متكاملان لا يستقيم أحدهما بدون الآخر^(٢)، فهي (شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر)^(٣). وهي وسيلة الشاعر التي تبعده عن الفوضى والضياح في خضم المعاني الشعرية المتشعبة ، لكن عليه أن يكون بارعاً في اختيار قوافيه كبراعته في اختيار الوزن الشعري الملائم لما يريد النظم من أجله^(٤)، يقول ابن جني: (العناية في الشعر إنما هي بالقوافي لأنها المقاطع ...)^(٥). فهي من وسائل تسهيل الحفظ ، لأن القصيدة الموحدة القافية أسهل حفظاً من الشعر المرسل المتعدد القوافي ، كما إن رنين القافية عقب كل بيت يجعل القارئ أو المستمع يشعر بأنه ما زال في نغم موسيقي موحد منسق^(٦). (فإتساق القافية كإتساق الوزن يخلق شعوراً بوحدة الإيقاع الموائمة لوحدة المعنى)^(٧)، ومثلما أثبت لنا الإحصاء المتقدم أنه لا علاقة تربط بين الوزن والموضوع ، وأنهم نظموا موضوعاً معيناً على أوزان متعددة ، كذلك اثبت لنا تعدد القوافي واختلافها وتنوعها ، واختلاف القوافي

(١) نقد الشعر: ٦٢ .

(٢) ينظر: في التقطيع الشعري والقافية: ٢١٥

(٣) العمدة: ١٥١/١ .

(٤) ينظر: في التقطيع الشعري: ٢٢٢ .

(٥) الخصائص: ٨٤ / ١

(٦) ينظر: في التقطيع الشعري: ٢٢٠ .

(٧) المصدر نفسه .

هذا قد شمل اختلاف حرف الروي ، وقد يُظن أن حرف الروي هذا هو القافية ، والأمر ليس كذلك بل (هي شيء مركب من حروف وحركات تقرر جماع ما في البيت من حلوة موسيقية)^(١)، فهي كما يعرفها الخليل (من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يسبقه مع حركة الحرف الذي قبل الساكن)^(٢)، ولو كانت (القافية هي حرف السروي لجاز للشاعر أن يجمع بين "مائل" و "مئل" و "تمائل" و "مثال" ، "تمثيل" و "متمثل" و "مثيل" وهو ما لا يجوز لاختلاف القافية مع اتفاق الروي)^(٣).

بالنسبة للقوافي فإن البحث وجدها ومن خلال الإحصاء السابق تنقسم على قسمين:

الأول: قوافٍ بحسب حرفها .

الثاني: قوافٍ بحسب حركتها .

القسم الأول ينقسم على نوعين: قافية مقيدة (وهي التي يكون رويها ساكناً)^(٤) (فيُحرر الشاعر بذلك من حركات الإعراب في آخر القافية)^(٥)، أما النوع الثاني فهي القافية المطلقة (وهي التي يكون رويها متحركاً)^(٦)، والنوع الأول (على حلوه أحياناً وعلى ما فيه من حرية للشاعر قليل)^(٧)، ويؤكد هذا الكلام عدد المرات التي أحصاها البحث في استخدام هذا النوع إذ بلغت أربعاً وعشرين (٢٤) مرة ، أما القافية المطلقة فقد استخدمت ثمانين (٨٠) مرة ، فنحن نلاحظ هذا الفرق الواسع بين هاتين القافيتين ، فكل شاعر له ثقافته وقدرته التي تمكنه من اختيار ما يناسبه من هذه القوافي .

(١) في التقطيع الشعري: ٢١٣ .

(٢) مفتاح العلوم: ٢٧٠ .

(٣) في التقطيع الشعري: ٢١٣ .

(٤) مفتاح العلوم: ٢٧١ .

(٥) في التقطيع الشعري: ٢١٧ .

(٦) مفتاح العلوم: ٢٧١ .

(٧) في التقطيع الشعري: ٢١٧ .

أما القسم الثاني من القوافي فإنه قد تحصل للبحث منها أربعة أنواع من أصل خمسة ، وهي المترادف والمتواتر والمتدارك والمترابك ، أما النوع الخامس وهو المنكاس. فإن البحث لم يجد له نصيباً من الإحصاء المتقدم .^(١)

وجاء بالمرتبة الأولى من هذه الأربعة المتواتر بنسبة ثلاث وأربعين (٤٣) مرة جاء بعده المتدارك بنسبة ثمان وعشرين (٢٨) مرة ، حل بعده المترادف باثنتين وعشرين (٢٢) مرة ، وأخيراً جاء المترابك مرة واحدة .

وهذا التنوع والتغيير قد شمل كما أسلفنا روي القافية ، فاستخدموا حرف الراء رويًا ثمانية عشرة (١٨) مرة ، وجاء بعده اللام سبعة عشر (١٧) مرة ، والباء والذال والميم أحد عشر (١١) مرة ، والعين والنون سبع (٧) مرات ، والقاف ست (٦) مرات ، والياء خمس (٥) مرات ، والتاء والحاء والفاء والكاف مرتين اثنتين ، أخيراً جاء الجيم مرة واحدة . هذا بالنسبة للمادة الشعرية التي تخص عصر صدر الإسلام .

أما بالنسبة للمادة الشعرية التي تخص العصر الأموي ، فإنها تؤكد صحة ما خرجنا به من نتائج وإحصائيات ونحن ندرس المادة الشعرية التي تخص صدر الإسلام ، فبالنسبة لما يخص قضية ارتباط وزن معين بموضوع أو العكس من ذلك ، وهل وجد في مادة هذا العصر مثل الترابط بين الوزن والموضوع ؟ .

نقول ومن خلال الإحصاء الذي أجري على المادة الشعرية الكاملة التي تحصلت لهذا العصر والتي بلغت (٥٢٤) بيتاً إنه لا توجد أية علاقة بين الوزن والموضوع بل وجدناهم ينظمون أشعاراً لموضوع معين على أوزان مختلفة متعددة ، كما استطاع البحث ومن خلال هذا الإحصاء أن يرتب الأوزان التي استخدمت ترتيباً تنازلياً يعتمد على عدد المرات التي استخدم فيها الوزن المعين ، ففي المرتبة الأولى جاء البحر الطويل فقد استخدم هذا الوزن أربعاً وعشرين (٢٤) مرة ، فلا غرابة أن يحتل هذا الوزن هذه المرتبة، فهو بحر (يمتاز بالرصانة والجلال في نغماته وذبذباته المناسبة الهائلة)^(٢) ،

(١) فصل السكاكي صاحب مفتاح العلوم الحديث عن تقسيم القوافي حسب حركاتها ، فجعلها خمسة أنواع. وهي المترادف، والمتواتر ، والمتدارك ، والمترابك ، والمنكاس . يطر: المصدر نمس: ٢٧٠ ، وينظر: فن النقطيع الشعري: ٢٦٩ - ٢٧٠ .

(٢) شرح نغمة الخليل في العروض ر عفاة : ١٠٤ عند الحبيب الراصي .

فمن ذلك شعر الشمردل في رثاء أخويه قدامة ووائل اللذين جاءه نبأ استشهادهما من فارس ، فقال ^(١):

أَقُولُ إِذَا عَزَيْتُ نَفْسِي بِأَخْوَةٍ مَضَوْا لِإِضْعَافٍ فِي الْحَيَاةِ وَلَا عَزَلٍ

جاء بعده في المرتبة الثانية الرجز إذ استخدم أربعة عشر (١٤) مرة ، فهو نشيد المجاهدين وهم يجودون بأنفسهم في سبيل الله تعالى ، فمن ذلك ما أنشده محمد بن زرعة العبدي وهو يجاهد أعداء الإسلام ، فقال ^(٢):

إِنْ كَانَ لَا بُدَّ مَصِيرِي لِلْفَنَاءِ
فَمَا مَقَامِي بَعْدَ خَمْسِ هَهْنَاءِ
إِنْ نِلْتُ مَا أَبْغِي فَقَدْ نِلْتُ الْمُنَى
جَنَاتُ عَدْنٍ لَيْسَ فِيهَا مَنْ عَنَّا

فالرجز كان سلاح المجاهدين في رفع حماس إخوانهم المقاتلين ، إلى جانب ما يتميز به الرجز من سهولة وقربه من السليقة العربية ^(٣) ، حل بعد الرجز البسيط إذ استخدم هذا البحر أحد عشر (١١) مرة ، فيؤي (قريب من الطويل ولكنه لا يتسع لأغراض كثيرة مثله ولو أنه يفضل عليه من حيث الرقة) ^(٤) فمن ذلك شعر الشمردل الذي يصف لنا فيه رقة أخوته الشهداء وشدة حياثهم ، فقال ^(٥):

إِذَا غَدَاَ الْمُسْكُ يَجْرِي فِي مَفَارِقِهِمْ رَاحُوا كَأَنَّهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكُرْمِ

جاء بعده البحر الكامل ذو التفعيلات الموحدة ، وهي من النوع الجهير الواضح الذي يهجم على السامع مع المعنى والعواطف ^(٦) ، فمن ذلك شعر أحد المسلمين وهو يصف حب أصحابه للشهادة التي جعلتهم لا يهابون اقتحام الردى ، فقال ^(٧):

(١) شعراء أمويون: ق ٢: ٥٤٧ .

(٢) مفتوح: ١٨٢/٨ .

(٣) ينظر: شعر الفتح لإسلامية: ٢٣٨ .

(٤) فن التفتيح الشعري: ٦٨ .

(٥) شعراء أمويون: ق ٢: ٥٥٢ .

(٦) ينظر: الفرشد إلى فهم أشعار العرب: ٢٤٦/١ .

(٧) شعر الخواص: ١١٦ .

يَرْدُونَ حَوَامَاتِ الْحَمَامِ وَإِنَّمَا تَأَلَّهَ عِنْدَ نَفْسِهِمْ لَصِغَارُ

أما الذي جاء بعده فلا يكاد يختلف عنه كثيرا ، فهو من البحور ذات التفعيلات شبه الموحدة ، إنه البحر الوافر فقد استخدم أربع (٤) مرات ، وهو بحر يمتاز بتدفق مقاطعه الصوتية وتلاحق أجزائه ^(١) ، وهذه المواصفات جعلته مناسبة للأجواء الحماسية عندما تشتت المعركة ، والمسلمون المجاهدون بأمس الحاجة إلى غذاء روح يحفزهم على مواصلة جهادهم للظفر بنعمة الشهادة فمن ذلك ما أنشده سعيد بن عمرو الحرشي ^(٢) :

فَمَا أَنَا فِي الْحُرُوبِ بِمُسْتَكِينٍ وَلَا أَخْشَى مُصَاوِلَةَ الرِّجَالِ

وحل بعده خامسا البحر الخفيف إذ استخدم مرتين فقط ، وهو (شبيه بالوافر من حيث اللين ولكنه أسهل منه) ^(٣) . جاء بعده السريع والمتقارب إذ استخدم مرة واحدة فقط .

أما بالنسبة للقوافي فقد وجدت على قسمين كما هو الحال بالنسبة لقوافي شعر صدر الإسلام ، قواف بحسب حروفها ، وقواف بحسب حركاتها .

أما ما يخص القسم الأمور منها ، فقد احتلت القافية المطلقة المرتبة الأولى إذا استخدمت ثمانين وثلاثين (٣٨) مرة ، أما المقيدة فإنها استخدمت ثمانين عشرة (١٨) مرة ، وهذا الإحصاء يؤيد صحة ما أكدناه سابقا ونحن ندرس قوافي شعر صدر الإسلام ، أن القافية المقيدة أقل استخداما في الشعر العربي ، على عكس المطلقة التي تعطي الشاعر حرية أكثر في مد النفس الشعري ، وهي في الوقت نفسه دليل قدرة الشاعر وتمكنه من

(١) ينظر: شرح نعمة الخليل: ١٥٣ .

(٢) تاريخ الطبري: ١٦٩/٨ .

(٣) من التفتيح الشعري: ١٥٩

نظمه للشعر وهذا الاهتمام بالقوافي جاء لكونها (تحافظ على نغمة القصيدة وانتهاءً واحدة للأبيات) (١) ، كما إنها تضبط المعنى وتحدده تحديداً كاملاً وتشد البيت شداً وثيقاً بكيان القصيدة العام ، ولولاها لأصبحت محاولة مفككة (٢).

وهذا التقسيم ذو صلة وثيقة بحرف الروي الذي على أساس حركته سميت القافية مطلقة أو مقيدة (٣)، وهو - الروي - أيضا تنوع واختلف بين الشعراء فكل منهم يختار روياً معيناً يختم به حروف أبياته ، وهذا الاختيار له صلة وثيقة بنفسية الشاعر وثقافته الشعرية وذلك من خلال ملاحظة الحروف التي تسبق حروف الروي ، وهل هناك تناسب بين حروف الروي وما يسبقه من حروف (٤) ، فضلاً عن طبيعة بعض المواضع التي قد تتطلب روياً معيناً .

ومن خلال الإحصاء المتقدم وجدنا أن حرف الميم قد جاء بالمرتبة الأولى روياً لأشعارهم إذ استخدم ثلاث عشرة (١٢) مرة ، جاء بعده الراء واللام إذ استخدموا عشر مرات ، وحل ثالثاً بعدهما حرف الباء إذ استخدم ثمانين مرات ، جاء بعده حرف النون بنسبة ست مرات ، أما الفاء فقد حل بالمرتبة الخامسة إذ جاء ثلاث مرات روياً لأشعارهم ، بعده جاء الحاء والدال والعين بنسبة مرتين ، وجاء أخيراً الشين والصاد والياء بنسبة مرة واحدة .

أما بالنسبة لتنوع القوافي بحسب حركتها ، فإننا قد وجدنا نوعين من مجموع خمسة أنواع أوضحناها في شعر صدر الإسلام ، وهما المتواتر وجاء بنسبة ست وعشرين (٢٦) مرة ، جاء ثانياً المتدارك بنسبة تسع عشرة (١٩) مرة . ومما تقدم نجد تقارباً بين شعر العصرين ، وهذا التقارب أوجده العقيدة الواحدة ، عقيدة الشهادة في سبيل الله تعالى .

(١) في التقطيع العربي: ٢٢١ .

(٢) بظر: المصدر نفسه .

(٣) بظر: المصدر نفسه: ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٤) بظر: المصدر نفسه: ٢٤٣ - ٢٥٨ .